مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية
ISSN : 1112-993X E-issn :2710-8147
المجلد: 17 العدد:(01) - فيفري 2025 / ص90- ص112.

صور من التاريخ الديني والاجتماعي لمنطقة بني وعزان من أحواز تلمسان(شمال غرب الجزائر) على ضوء الوثائق والآثار.

Images of Religious and Social History of the « Banū Waʿzān » Region of Tlemcen(north of Algeria) through Documents and Antiquities.

د.حسين زكراوي[1] ،جامعة "أبو بكر بلقايد تلمسان" (الجزائر)
Ḥōçīne Zēkrāouī ,Department of arabic literature, Tlemcen university
zekrhasn@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2024/11/02 تاريخ القبول: 2024/12/28 تاريخ النشر:2025/02/20

الملخص:

يتناول هذا البحث طبيعة تطوّر التجمعات البشرية البسيطة - من القبيلة إلى العرش- منذ وجود الحياة بها إلى عهد الاستقرار والتنظيم، حيث تفيد هذه الدراسة بأهمية العامل الزمني والعامل الاستراتيجي في خلق تطور البنية الاجتماعية لعرش "بني وعزان" منذ الحياة البدائية إلى غاية تشكل المجتمع الحديث . إنّ النتائج تم التوصل إليها تفيد بوجود عوامل ساهمت باستقرار أفراد المنطقة واستثمارهم لمقومات العيش المتوفرة في تحقيق التقدّم الاجتماعي ، مع دراسة أهمّ المحطّات التاريخية التي ساهمت في تكوين بنية المجتمع وتديّنه.

الكلمات المفتاحية: التطور؛ العرش؛ التصوّف ؛ التركيبة البشرية؛ بنو وعزان.

Abstarct

This article tackles the nature of the development of simple human groups - from the tribe to the throne - since the existence of life until the era of stability and organization. This study emphasises the importance of the temporal factor and the strategic factor in creating the development of the social structure of the "**Banū Waʿzān** " throne from primitive life until the formation of modern society. The results reveal the presence of factors that contributed to the stability of the region inhabitants and their investment in the available livelihoods in order to achieve social progress. A further study is provided about the most important historical milestones that contributed to the formation of the structure of society and its religiosity.

Key words : evolution; throne; Sufism; social and human structure**;** banū waʿzān **.**

[1]المؤلف المرسل: حسين زكراوي، zekrhasn@yahoo.com

مقدمة:

إنّ البحوث التي تهتمّ بالمجتمعات الصّغيرة تلقى إقبالا كبيرا من قبل الباحثين خاصّة لتوفّر عامل المعاشرة والملاحظة، وهو ما يضفي على هذه البحوث صبغةً أنتروبولوجية جديدة، قد تختلف عمّا كتبه الباحثون الغربيون الذين قدّموا خدمة في هذا المجال خاصّة في مرحلة نشأة النواة الأولى للمجتمع الجزائري الحديث .

إنّ البحث التاريخي في نشأة المجتمعات البسيطة يفتح أفق دراسة مساعي التنمية بالمناطق المدروسة حتى لا يكون البحث حبيس التنظير، فلا شكّ أنّ تسليط الضوء على التركيبة الاجتماعية لتلك المجتمعات وطرق عيشها ومصدر رزقها يعدّ جمعا لمعلومات تشخّص طبيعة المجتمع و تبيّن حاجاته و تطلّعاته في تحقيق التقدّم الاجتماعي.

إن البحث في نشأة وتطور القبيلة لا يقف عند حد الوصف والسرد؛ فإن السرد التاريخي ما هو إلا مقدمة تسمح للباحثين بتحليل تلك المعطيات، التي يطلق عليها الأنثروبولوجيون "الإثنوغرافيا"، إلا أنه أصلُ مثل هذه الدراسات وقوامها ، فهي تعتمد على تلك المعطيات التاريخية في بناء النتائج والقياس عليها لمعرفة أصل الأنسان وبداياته . فالمنطقة الجغرافية التي يتربع عليها عرش "بني وعزان" توحي بأنّ للمنطقة تاريخا كبيرا ممتدا لقرون.

و انطلاقا من هذه الفرضية سيحاول البحث التنقيب في أيام من هذه المنطقة ، ومحاولة الوقوف على أهم المحطّات التاريخية التي لعبت فيها المنطقة أدوار اجتماعية واستراتيجية جعلت منها نسيجا عمرانيا له مقوماته وخصوصياته في لهجته وتواصله وطريقة عيشه، في ثيولوجيّته وعلاقاته الداخلية والخارجية وتنقّلاته، كل هذا بالعودة إلى الإنسان القديم في منطقة "بني وعزان" ومحاولة استنتاج العوامل التي ساهمت في استثمار هذه المقومات.

وعليه فإنّ الإشكال الذي يطرح في هذه الورقة هو على النحو التالي:

ماهي العوامل التي ساهمت في تكوين البنية الاجتماعية لعرش بني وعزان حوز تلمسان من خلال التطوّر التاريخي للمنطقة ؟

ويتفرّع عنه جملة من التساؤلات:

ماهي طبيعة التّديّن و صور تطوره بالمنطقة؟

ماهي طبيعة المجتمع بالمنطقة و ماهي بداية تشكّله؟

ما هي القيمة الجغرافية التي يتربّع عليها عرش بني وعزان؟

ما هي أهمّ المناطق التي يظمها؟

ماهي مكوّنات النسيج البشري بالمنطقة؟

ما قيمة الرمز و الاسم و الشاهد التاريخي أو الأركيولوجي في تحديد انتماء المنطقة وتشكّلها؟

هذا ما سيلتزم البحث بالإجابة عليه من خلال المحاور الآتية:

المحور الأوّل: -العمران البشري الأوّل بالمنطقة.

المحور الثاني: استمرارية الاسم واستمرارية النّسب.

المحور الثالث: السياقات التاريخية المكونة للنّسيج البشري بالمنطقة .

المحور الرابع: ممارسة التديّن لدى سكّان المنطقة وفاعليّته الاجتماعية.

المحور الخامس: نظام الحياة في المنطقة "من القبيلة إلى العرش.

المحور السادس:.التديّن لدى سكّان المنطقة و النزعة التحرّرية .

المحور السابع: التماثّلات الاجتماعية للعادات و التقاليد بالمنطقة.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة كونها تعالج موضوع المجتمعات الصّغيرة التي تعدّ في نظر علماء الاجتماع نواة للمجتمعات المتمدّنة الحديثة خاصّة في الجزائر التي تتميّز بتنوّع نسيجها الاجتماعي.

منهج الدراسة:

بما أنّ الدراسة ستتبّع تطوّر المجتمع القبلي منذ النشأة والتأسيس فإنّ المنهج التاريخي سيكون عمدة هذا البحث، وذلك بسرد الأحداث نقلا من المصادر المكتوبة أو الشفهية مع اعتماد المنهج التحليلي في معالجة تلك البيانات واستحضار القياس التاريخي بربط الحاضر بالماضي أو العكس ، ثمّ المقارنة بين مصادر المعلومة باستعمال النقد الوثائقي ، مستعينا في ذلك بأداة الاستقراء.

1-العمران البشري الأوّل بالمنطقة:

تشير الدراسات القديمة حول تاريخ الحضارات إلى أن المنطقة الشرقية لتلمسان كانت مأهولة منذ عصور ما قبل التاريخ أو العصر الحجري، وذلك لما تتوفّر عليه من مؤهلات العيش البشري من توفر الموارد المائية التي تعد أساسَ الحياة كالأنهار والأودية والعيون إضافة إلى التربة الخصبة التي تمثل موردا طبيعيا مهمّا، زيادة على التصاق المنطقة بالممالك والمدن الكبرى التي اختطّتها القبائل البربرية مثل تلمسان التي تحوّلت في العهد الروماني إلى مدينة معمورة ذات نشاط كبير سمّيت "بوماريا"، جعلت منها نقطة استراتيجية تربط بين موريتانيا القيصرية وموريطانيا الطنجية.[1]

و قد اشتركت المنطقة المدروسة مع الكثير من مواطن استقرار الإنسان البربري في شتى بقاع المغرب الأوسط[2]، لما تتوفر عليه من موارد مائية وكهوف و جبال وسهول ممتدّة إلّا بعض المفازات[3].

لقد أصبحت المنطقة الشرقية لتلمسان نقاطا ومستوطنات رومانية تتفاوت من حيث أهمّيتها و عِظم نشاطها من نقطة إلى أخرى إلّا أنّها تشترك في كونها حلقات من خطوط رابطة بين المدن الكبرى و الموانئ "خط الليميس"[4]،تكون هذه النقاط إما مراكزا عسكرية أو مستوطنات سكانية أو مصانع ومناجم ، و بالقرب من تلمسان نجد مستوطنات ومراكز عسكرية عدّة تنتمي إلى إفريقيا القديمة مثل-**NUMERUS**-غزوات المدينة الرومانية **ALTAVA** ومن الجنوب من بوماريا نحو تبداي-**Tepidae**، تتوفر هذه النقاط على سدود وقنطرات، منها **pont de coursi**-قنطرة يسّر (بن سكران) وسد الفحول، وقنطرة **Tendeloucet**. بواد عمِيَّر، و **Ksar hannoun**- مستوطنة، و **Sidi Boudjrar** - معسكر غول يماس .[5]

أمّا بخصوص أهميّة قنطرة واد عميّر فإنّها كانت معبرا للجيوش الرومانية باتجاه عين تيموشنت وقد أوضح القسّ Berges في رحلته Tlemcen ancianne capital سنة 1846أثناء كلامه على تهيئة قنطرة Negrier أنّ هناك

طريقا قديمة ثانيا من وهران عبر قنطرة **واد يسّر** إلى أن تقطع **واد الصفصيف** في كلّ من قنطرة **"أوزيدان"**، ثمّ قنطرة "Nigrier" و قبلهما قنطرة **واد عميّر** التي سُميّت pont de mascara، و قد قام Bargesبزيارة قنطرة عميّر وعاينها وهي تتكوّن من ثلاثة أعمدة. ولا ندري هل هذه القنطرة هي نفسها القنطرة الرّومانية أم أنّها متأخِّرَةُ البناء وكلّ ما توفّر من معلومات أنّ قنطرة النيغري الباقية ذات طابع أندلسيّ أيّ بنيت بعد الفتح الإسلامي فيمكن أن تكون قنطرة واد عميّر هي الأخرى رمّمت أو بنيت بالتزامن ، وهاتان القنطرتان هما اللّتان ذكرهما يحي ابن خلدون في "بغية الرواد" في عبور أبي حمّو الثاني "لقنطرة الصفصيف" أو "قنطرة وهران"، و قنطرة واد عميّر هي التي عبرها قبائل بنو عامر المستقرّين بالجهة الشرقية لتلمسان بقيادة "شعيب العامري" و عقد لواءهم في الجيش الزّياني ومن ثَمَّ العبور إلى جبال بني ورنيد "المنية" في حربهم مع المرينيين سنة 760هـ .[6] حيث عسكر هناك و وفد عليه العالم الفقيه عبد الرحمن بن مخلوف من القصبات وبنو زاغو المغراويّين أهل الواد ليقتحم البلد بعد مشورتهم .[7]

أما عن Ksar hannoun فالآثار تفصح على أنها مدينة رومانية بها قلعة وسياج وخزّان ماء مستوية على مرتفع. يأتي إنشاء هذه المستوطنة الصغيرة في إطار تقسيم شمال إفريقيا إلى ولايات بأن تكون هذه المستوطنات ملاصقة للطّرقات لغرض جمع سكّان المنطقة والتحكم فيها[8] و"قصر حانون"[9] تتموقع في منخفض بين قنطرة واد يسّر"بن سكران" وقرية "الغنانية" وهي تتوفّر على عيون و مجاري مائية و تربة خصبة يجعل منها مستقرّا للبدو و القوافل المرتحلة، أما Sidi boudjrar[10] في تتموقع بأعلى واد عميّر، عبارةٌ عن مقرّ عسكري يتربع في شكل مستطيل على وادي Nigrensis.[11] ، ويحيلنا وجود معسكرٍ بالمنطقة على استراتيجيتها في الطريق الرابط بين **"بوماريا"** و **"تيبداي"**[12] ثمّ **"ألبيداي"** و كذلك الخط الرابط بينها وبين "أكواهسيرانيس" –بوحنيفية – أو "تكلمانت" البربرية و "تاساكورة" – سيق-[13]، فاتّخاذ معسكر بسيدي بوجرار من شأنه فرض الحماية على المدينة الرومانية **"بوماريا"** والسيطرة على المناطق الشرقية لها و إخضاع السّكان للحكم الرّوماني بتجنيد الفلاحين ومراقبتهم،[14]وهذا يحيلنا أيضا على نقطة مهمّة في تاريخ البربر وهي مقاومتهم للاحتلال الروماني وكثرت الثورات عليه من أجل تحقيق الاستقلال كما وقع من الملك Yougharta يوغرطة[15]، وفرضية مقاومة أهل المنطقة للاحتلال الروماني واردة هي الأخرى

2-استمرارية الاسم واستمرارية النّسب:

تعدّ الاسماء و الألقاب في البحث التاريخي من الأدوات المهمّة في تتبّع الأنساب و الأحداث و تداول الشعوب على الأرض وذلك بتأثيل الأسماء والمصطلحات أو ردّها إلى اللّغات المستعملة، و في البحث المتعلّق بالتجمّعات البشرية الصغيرة كالقبيلة والعرش نجد للاسم دلالة تاريخية على التأسيس أو الانتشار والتي تكون في الغالب أسماء أعلام ، ومن ذلك ما هو متواتر عند أهل المنطقة أنّ اسم بني وعزان هو اسم للعرش الذي يجمع مجموعة تجمعات بشرية بسيطة تمتد حدودها من جنوب أوزيدان إلى منطقة عين تاقبالت والشرق إلى العزايزة ثمّ البرج، من الغرب تلمسان، ومن الشرق "سيدي عبدلي" ومن الجنوب الشرقي جبال "سيدي سنوسي" و"تاقمة" والجنوب الغربي "عوشبة" و "أم العلو"و الشمال "الفحول " والرمشي" و" الحنايا" ولعل النّحت الدّلالي للفظ "وعزان" يوحي بأن التسمية بربرية فـ"يعزن" في اللغة الأمازيغية بمعنى "الرّجال"، لكن في أي طبقة وفي أي قبيلة بربرية أطلق هذا الاسم؟

كل ما وجدناه في المصادر التاريخية بالنسبة لهذا الاسم هو ما ذكره ابن خلدون في تاريخه حين جعل هذه القبيلة من الطبقة الثّالثة من "زناته" وذكر مواطنهم بغرب المغرب الأوسط، ذكر بني عمومتهم وهم "بنو توجين" و"مصاب" و"زردال" و"بنو راشد"، ونسبهم يرتفع إلى رزجيك بن واسين بن جانا.[16] ثم قال في بطون بني القاسم: "وكانوا بطونا كثيرة فمنهم :

بنو يكمثين بن القاسم، وكان منهم **ويعزن ابن مسعود** بن يكمثين ...، وكان منهم أغدوي بن يكمثين، ومنهم أيضا عبد الحق بن من منغفاد من ولد **"ويعزن"**، صفر وكانت الرئاسة عليهم لعهد عبد المؤمن ".[17]

الذي يظهر من هذين النصين اللذان يوثقان لبطون بني القاسم المغراوي أنّ ويعزن من طبقة متقدمة، ولفظه بلسان زناتي[18].

أما الحافظ التّنسي في كتابه "نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان" الذي خصّصه مؤلفه للكلام على النّسب الشريف لقبيلة بني عبد الواد حين ذكر بطون قبيلة بني عبد الواد ، التي حكمت المغرب الأوسط ما بين ق 7ه إلى 10ه، نجد اسم "وعزان" منصوصا عليه في النّسخ المخطوطة بقوله: "ومن القاسم هذا تنسل جمهور بني عبد الواد وهم:

"بنو طاع الله"، و"بنو دلول" و"بنو مطهر" و"بنو وعزان" و"بنو معطي" و"بنو حجي"[19]، كما ردّ ابن خلدون القول بأنّ نسب بطون ابن القاسم أو آيت القاسم يرجع إلى المولى إدريس مجرد ادّعاء و هو الصواب، لأن بطون بني عبد الواد من البربر وليسوا عربا أو يمكن أنهم ممّن تعرّب من البربر.[20]

أمّا يحي ابن خلدون فقد جعل نسب البربر في الأمة العجمية التي استوطنت الشام بعد طوفان نوح عليه السلام،[21]وقد ذكر وعزان ضمن بطون بنو القاسم فكان موافقا لعبد الرحمن ابن خلدون يقول يحي بن خلدون: "ويفترقون فصائل وبطونا وكانت شيعته شتى منهم:

بنو مطهر بن يمل بن برجن بن القاسم، **وبنو وعزان** بن مسعود بن يكرين الأكبر بنو القاسم"[22].

خلاصة ما يمكن قوله عن هذه الوثائق التاريخية الثلاث ما يلي:

أوّلا: أنّ اسم "وعزان" علم بربري زناتي أصله "يِعزان"، أو "إيعزان"، بمعنى الرجال وهو ما أثبته ابن خلدون في النصّ الأول، و هذا العلم هو اسم أحد بطون قبيلة بني عبد الواد الزناتية[23]، و ينتهي نسبهم لقبيلة زناتة من أصول البربر بالمغرب الأوسط الممتدة من سلجماسة وملوية غربا إلى الزاب من إفريقيا شرقا.[24]

ثانيا: "بنو وعزان" بن مسعود ابن يكريما الأكبر ابن القاسم ينتهي نسبه إلى "رزجيك بن واسين ابن ورسيك بن جانا (زناتة) بن مادغيس الأبتر بن برّ بن قيس بن غيلان، يلتقون مع بني مغراو و بني يفرن في جدّهم (ورسيك)" .[25]

3-السياقات التاريخية المكوّنة للتجمع البشري:

بما أنّ أسباب الحياة بالمنطقة وعمرانها ممتد إلى ما قبل التاريخ ، و نسب المنطقة الذي تنزل إليه يرجع إلى قبيلة "زناتة" البربرية، يمكن القول بأن العرق البربري سابق بالمنطقة و كان دائما يثبت وجوده بالمنطقة من خلال الصراع القبلي بين فروع زناتة خاصة ما دار بين مغراوة وبني يفرن الذين اختطوا تلمسان، الذين تمتدّ بطوونهم بنواحي تلمسان إلى جبل بني راشد.[26] و من صور هذا الصّراع استنفار مغراوة لأحواز تلمسان و أحيائها لحرب بني يفرن، دام ذلك إلى غاية الفتح الإسلامي عندما ناصرتْ مغراوةُ الفاتحينَ و دخلت بنو يفرن في مقاومة العرب ، فالقبيلة والحلف كان نواة الدُّول بشمال إفريقيا فنجد دولة الموحّدين المصمودية تقرّب قبائل: " كومية" و "هنتانة" و" هسكورة" و"هرغة" و "عبد الواد"، بينما قرّب المرابطون الصنهاجيون : "لواتة" و "مسوفة" و "لمطة" ، ولمّا حكم "بنو عبد الواد" قرّبوا أبناء عمومتهم بما فيهم "بني وعزان" و"المعقل" و"بنو عامر" من العرب الذين غلبوا على الأراضي[27]. كما كان البربر يثبتون وجودهم من خلال التصدي للغزو الوافد من الضفة المتوسّطية فكان يحافظ على طرق عيشه البدائية كالسكنى بالكهوف والأودية وامتهان الرعي والزراعة والتوجه إلى الطبيعة لطلب المدد والقوة وخصوبة الأرض في صور تعبدية وثنية بدائية اشتركت فيها قبائل

البربر والاحتلال الروماني الذي كان وثنيا لعهد تبنّي روما الديانة المسيحية عام 312 ميلادي [28]، فالبربر وعلى امتداد الصراع مع الوجود الروماني لم تنقطع ثوراته ولم يفتأ السكان يدافعون عن ديارهم وعوائدهم فكانت تمتلكهم الرغبة الدائمة في الاستقلال وعدم الخضوع.[29]

إلا أن الفترة التي أعقبت الغزو الوندالي وهي فترة الفتح الإسلامي جعلت البربر يختلطون بإخوانهم العرب خلافَ تعاملهم مع الغزو الرّوماني و الوندالي وفي هذه المرحلة التاريخية حل بالمنطقة العنصر العربي وعلى وجه الخصوص قبائل الغسل أولاد الخراج من قبائل المعقل اليمنية وهم بطون عدة انتشر بعضها بمحاذات تلمسان يقول ابن خلدون عن مواطنهم:" هذا القبيل لهذا العهد من أوفر قبائل العرب و مواطنهم بقفار المغرب الأقصى مجاورين لبني عامر بني زغبة في مواطنهم بقبلة تلمسان وهم ثلاثة بطون ذوي عبد الله وذوي منصور وذوي حسان، في ذوي عبد الله منهم وهو المجاورون لبني عامر و مواطنهم بين تلمسان وتوليت".[30]

يذهب جورج مارسي إلى أن المعقل لم تكن لهم صلة بالنزوح الهلالي من الشرق إلى الغرب، فالمعقل في نظره هاجروا مع الموجة الأولى واكتفوا بالبقاء على حدود الصحراء والمغرب الأوسط مما جعل ملوك تلمسان يقربونهم ويتخذونهم سندًا لهم [31] ،و المعقل أو البطون التي كانت بمحاذاة تلمسان آثار المناطق التي تلائم طبيعتها فانتشرت على شريط ممتد بين أوزيدان و الحناية و الرمشي شمالا، وبني وعزان شرقا، وغربا إلى وادي الزيتون.[32]

ومن العنصر العربي بالمنطقة زيادة على الفاتحين من قبائل الأوس والخزرج وتميم وقيس و طيّء و هذيل وغيرها، نجد حضورا منتظما لبني عامر أحد قبائل زغبة الهلالية التي استوطنت تلمسان وصحراءها، والذين اتّخذهم ملوك بني زيان فاصلا بينهم وبين المعقل المجاورين لهم ولاشكّ أنّ الأحواز الشرقية بما فيها المنطقة المدروسة كانت امتدادا لبني عامر الذين غلبوا عليها و تمركزوا بشرق تلمسان وجنوبها إلى تاسالة وما بعدها .[33]

وبهذا عمّر العنصر العربي نواحي تلمسان بما فيها "بني وعزان" خاصة قبائل المعقل اليمنية و بنو عامر من زغبة، دون أن ننسى ظعن و نزول القبائل المجاورة بالمنطقة وبأقصى غرب الجزائر ودوره في تنوّع التركيبة الاجتماعية بالمنطقة ومن تلك القبائل "بني يزناسن "و"أنجاد" و "بنو زكري" وفرق من "مصمودة" القادمة من جبل بني يزناسن، هذه القبائل سكنت عند قبيلة بني وعزان وكانت تنزل وترتحل معها في ظعنها [34] ، وغيرها من قبائل المشرق كبني راشد وزغبة و العمور، ساهمت في تكوين مجتمع متنوّع العادات و التّقاليد متعدّد الانتماءات.

فالعنصر البربري وهم سكان المنطقة الأصليون تميزوا بالشدة والبأس والسخاء والتعلق بالأرض وحب الحرية وخدمة الأرض فهو يستغل فترات قوته وعطائه في خدمة أرضه بل نجد في أسلوب عيشه الزواج المبكر لدى الذكور والإناث المقصد الإنجاب واستثمار العصبة في خدمة الأرض وهي تعاليم وأعراف يملها وجود القبيلة ممثلا في القائد.

بينما الإنسان العربي تميز برقة الطبع وفصاحة اللسان كريما شجاعا فارسا محبا لفرسه يتغنى بذكر محاسنه تمسكه بالإسلام تمسك متين، وهو ما يجعلنا نميز بين نمطين من التفكير في البربري يقتصر على التفكير في غديه المستقبل، أما العربي فلا يعرف للاقتصاد معنى إن كان غنيا فهو شديد الإسراف يعيش عايش البذخ إلى أن يفنى ماله وإن كان متوسطا أنفق على حسبه.[35]إنّ ما يؤيّد هذا التأثيل النفساني هو حضور النّزعة الحربيّة لدى قبيلة "بني وعزان" ومشاركتها الكبيرة في الحروب القبليّة حيث عمد السلاطين و الأمراء إلى تجنيد الأحياء والقبائل مقابل تأليفها بالمال أو تقريبها من السّلطة أو إخضاعها، ومن صور حضور أفراد "بني وعزان" في هذا الصّراع ما ذكره التنسي في "نظم الدرّ والعقيان" على عهد تدخلّ المرينيّين في شؤون الدولة الزيانية ومحاولة شلّ تحرّكاتها حتّى لا تضاهيهم أو تنافسهم ، عندما

عمد السلطان المريني إلى دعم "أبي محمد عبد الله بن أبي حمّو الثّاني" بالمال والسّلاح من أجل الإطاحة بأخيه السلطان "أبي زيّان الثاني" الذي أعاد للمغرب الأوسط هيبته الحضارية واستقراره الاجتماعيّ، فحشد "أبو محمد عبد الله" حشوده وحاصر تلمسان سنة 801هـ/1400م ، وأجبر "أبا زيان" على الفرار شرقا يتقلّب بين الأحياء العربية والزّيانية[36]طلبا للنّصرة ما دفع بالمرينيين إلى الاستثمار في معارضي "أبا زيّان" من حيّ يني وعزان ممّن يدينون لـ"أبي الحجاج يوسف بن أبي حمّو" فجنّدوا رجلا اسمه "مسعود الوعزاني" وأرسلوه لشرق الدولة الزيانية أين تظاهر بخدمة المخلوع "أبا زيّان" ولمّا سنحت الفرصة قام باغتياله سنة 805هـ/1404م.[37]

إذا فهذا النصّ يبيّن القيمة العسكرية التي يتمتّع بها الفارس الوعزاني والتي تعكس مكانة حيّ "بني وعزان" لدى السّلطة الزيانيّة والسلطة المرينيّة، ومدى الثقة التي يتمتّع بها لدى الدولتين .

4- التديّن لدى سكّان المنطقة و النزعة التحرّرية :

لو أردنا تنزيل هذه المعطيات على مرحلة زمنّية متأخّرة لمعرفة مدى تحقّقها في الميدان من عدمه، لوجدنا مرحلة الاحتلال الإسباني الّتي يتجلّى فيها دور القبيلة في محاربة الاحتلال، ومعلوم أنّ الاحتلال الإسباني الأوّل لسواحل الجزائر ومدنها الشمالية كان في القرن 16م الموافق للقرن10هـ، وهو عصر سقوط الدّولة الزيانية ودخول الأتراك لحماية الجزائر، ثم الاحتلال الثاني كان مطلع القرن 17م الموافق للقرن 11هـ ، ولعلّ أحداث وهران كانت من كبرى الأحداث في تلك الفترة حيث جلبت انتباه العالم أنذاك و المغرب العربي خصوصا بسلاطينه وعلمائه الذين عملوا على تجنيد الأحياء والقبائل بمكاتبة زعمائها وقياداتها وقبل ذلك مكاتبة سلاطين الخلافة العثمانية بالمشرق كما وقع من "أبي محلى السلجماسي" الذي خالف الحاكم السعدي بتسليمه العرائش للإسبان فاستنفر القبائل بغرب الجزائر من تلمسان والراشدية و ثار على السعديين.[38]

اعتبر أبو محلّى تحرير وهران قضيّة الإسلام المصيرية واعتبر الجهاد من أولى الأولويات لذلك كان يحرّض القبائل والأحياء بتلمسان و البطحاء و بنو راشد ، جاء في رسالته للخليفة العثماني خادم الحرمين: "...واستنفرت مع ذلك كلّ راشديّ و زناتيّ لما حكي لي ما فيه بنو عامر من المذلّة " إلى قوله :" فإن مررت على أمير تلمسان فالمرغوب منه سبحانه أن يوقظه ويلهمه لما فيه خراب طاغوت وهران" .[39]فحاكم تلمسان التركي بمحلّته لم يكن حازما في مسألة جهاد الإسبان لذلك كانت الدعوة لعامة الرعيّة من القبائل والأحياء وفي مقدّمتهم الطلبة والمريدون من الطّرق الصوفية ، و قد نظم أبو محلّى قصائدا يخاطب القبائل والأحياء بتلمسان و وهران قائلا :" إلى من سيقف عليها من رؤساء القبائل و فرسان الحمائل مثل الشيخ عبد القادر الراشدي و أضربه من كل قبيلة ...أوقظ بها همما هامدة و قرائح جامدة"[40] .

وقد سجّل مخطوط "كعبة الطّائفين" حضورا قويّا لأحياء وقبائل الأحواز بما فيهم "بني وعزان" التي كان لها حضور قويّ خاصّة وأنها طريق رابط بين تلمسان و عين تيموشنت و تلمسان و القعدة، فكانت منزلا للمرابطين والقوافل ونقطة انطلاق لهم، وقد ذكر ابن سليمان الصايم[41] أنه شارك في رباط تحرير وهران مع ثلّة من رفاقه وإخوته من المردين والمشايخ الصوفيين الذين كانوا نحو 300 مرابط: "الشيخ عبد الجبار" و "ابن صابر"، "العبدلي الصّوفي "، "ابن البيطار" "ابن عيشونا" "موسى اللالاتي" "ابن شعشوع" وغيرهم ، ويحكي مؤلّف" كعبة الطّائفين" ما لاقاه المرابطون من بطش القبائل الموالية للإسبان والتي تتمركز في الطريق الرابط إلى وهران وذكر بعضا ممّن استشهدوا في تلك المعارك وكان هو ممّن أصيب أنذاك،[42]وهذا مع عظم ما عاناه السّكان والأهالي بالأرياف والبوادي من الرّعب والذّعر والفاقة و الفقر، ما جعل النّاس تلوذ بالفرار إلى الكهوف والجبال فقد حُكي عن الشيخ "محمّد المصطفى الرّماصي" أنه كان يسكن بأهله خيمة على رأس جبل يأوي إليها ليلا ليسهل عليهم الفرار من إغارة النصارى بينما يقضي نهاره في مسجده يُقرئ طلبته

وبمنطقة "بني وعزان" وما جاورها يحكي المرابطون عن الهول والخطب العظيم فهذا المرابط "أبو الحسن عليّ بن حسّون العبدلّي" يقول أنهم كان لا يهنأ لهم نوم إلّا إذا جعلوا من يحرسهم ، وإذا نام أحدهم تجده يهذي بإغارة النّصارى عليهم[43] ، فلم يكن المسلمون بالأرياف يأمنون على أهليهم و محاصيلهم خاصّة بعد أن دسّ النصارى الجواسيس الذين يسمّونهم بـ"المَغْطاسين" [44] الذين ينزلون بأصحاب المحاصيل ويسلبونهم إيّاها، ولاشكّ أنّ ريف "بني وعزان" عانى الكثير من ذلك، يقول عبد الرحمن الجامعي في شرحه لنظم "الحلفاوي التلمساني" عن انقطاع المبادلات التجارية في إقليم تلمسان: "تعطّلت حركة المبادلات بين المدن والأرياف وكانت الرّكاب العظيمة تعجز عن قطع المفازة البعيدة خوفا من النصارى ومن انضمّ إليهم "[45]

وفي الفتح الثاني الذي كان سنة1792م، كان الجيش الإسلامي أكثر تنظيما وكانت الأحواز التلمسانية حاضرة بقوّة ومنها حوز " بني وعزان" يقول ابن سحنون الراشدي في وصف جيش الباي "محمد الكبير": "فجاءهم في جند عظيم شديد البأس يحتوي على خمسين ألفا، وقد قسّمه فترك معظمه معه وأنزل الباقي مع ابنه الأنجب السيد عثمان وبعضه الآخر مع صهره الأجلّ السيد محمّد بن إبراهيم ، كلّ منهما على جهة بمحلّة عظيمة مع الأوّل أهل تلمسان وأحوازها وقبائل من الأعراب كفليتة وغيرهم"[46] .

وفي فترة الاحتلال الفرنسي التي تعدّ -امتدادا للعهد العثماني الأخير- ميدانًا خصبًا لقياس فاعليّة هذه المعطيات في حركّية المجتمع القبلي بـ"بني وعزان"، إنّنا نخصّ بالذّكر استنفار الأمير عبد القادر الجزائري للأحواز التلمسانية وقبائلها في مسيرته الحربية ضدّ الاحتلال الفرنسي الذي كان يعتبر الإسلام القوة الوحيدة القادرة على توحيد القبائل و الأحياء من أجل النّضال و تحقيق الهدف المشترك وهي فكرة الكثير من المناضلين بشمال إفريقيا[47]، فالاستثمار في الأرض باعتباره موردا اقتصاديا تطوّر عن أصله الذي صاحب الإنسان القبلي بمنطقة بني وعزان، فأثناء عبور جيش الأمير عبد القادر إلى تلمسان وسواحل "ولهاصة" كان الاستنفار يعتمد على النزعة القبلية والعصبية والحمّية التي تعتبر محرّكا جماهيريا ونفسيا في المجتمع القبلي، بل إنّ مراسلات الأمير عبد القادر للفقهاء بالعالم الإسلاميّ كانت تركّز على دور القبيلة وتعبئتها [48]، لما عُرفت به القبائل في شمال أفريقيا من الحميّة وحبّ التحرّر من الاحتلال الذي يعبر الضفّة المتوسّطية، إذ لا تجد قبيلة في الغالب إلا وهي تحمي أفرادها، وتتعصب لهم أو عليهم، وهو ما دفع بالأمير عبد القادر إلى ضمّ قبائل أحواز تلمسان من "معقل أنقاد"[49] و "الغسول" و"أولاد نهار" و "عامر" "وأولاد سيدي العبدلي" و"مديونة" و"بني وعزان" و"بني عامر" إلى النّفير لصدّ العدوان الفرنسي.

ومن ذلك المعركة الكبيرة قرب وادي يسر[50] –على خطّ عمير وبن سكران- سنة 1836م، على غرار معركة سبع شيوخ ومعركة سكاك[51]في نفس السّنة ، وبعد احتلال الفرنسيين لتلمسان وقلعة المشور انسحبت قوات الأمير عبد القادر شرق تلمسان حيث حشد الأمير عبد القادر أتباعه من قبائل الجهة الشرقيةبعد ملاحقته من قبل قوات المزاري والكراغلة واتخذّ من جبال "يَبْدَرْ" حصنا لجيشه.[52] فالمنطقة الشرقية ومنها "بني وعزان" كانت نشطة في تحرّكات الأمير عبد القادر الرّابطة بين تلمسان و عين تيموشنت و تلمسان و معسكر : عميّر و الفحول و القيطنة بسيدي عبدلي التي اتخذها الأمير عبد القادر رباطا لجيشه، ومديونة (سبع شيوخ) ومداشر مقاطعة الرّمشي، التي انضمّت جلّ أحيائها و قبائلها لدولة الأمير عبد القادر رغم مضايقات السلطة الاستعمارية التي أَوْكَلَتْ لحلفائها إبادة المتعاونيين معه ما دفع بالكثير من الأعراش إلى الفرار للمغرب الأقصى منهم أولاد سيدي خالد و أولاد إبراهيم [53]واليعقوبية وأولاد ميمون والحزج والحشم "حميان"[54]، وأسر من أعراش أخرى منها عرش بني وعزان.

فلاشكّ أنّ لعرش "بني وعزان" حضورا قويّا في هذه المرحلة خاصة الجانب اللوجستي، زيادة على الجانب الاقتصادي الذي سيأتي تفصيله؛ وبقي هذا العطاء إلى غاية الثورة التحريرية حيث قدمت منطقة بني وعزان عشرات من الشهداء الذين التحقوا بصفوف جيش التحرير في المنطقة الخامسة وغيرها، ولا تكاد تخلو عائلة وعزانية من تقديم شهيد أو أكثر.

5-نظام الحياة في المنطقة "من القبيلة إلى العرش":

يتناول هذا العنصر الكلام على مركزية الشيخ أو القائد ودوره في تسيير وتنظيم القبيلة والكلام على الوظائف والمهن التي اشتغلها سكان منطقة "بني وعزان"، كل ذلك عن طريق الحفر في الذاكرة والموروث الشفهي وبالأخص القصص والحكايات والأساطير، لنخلص إلى الكلام على العادات والتقاليد المادية كموروثٍ ماديٍّ متراكِم ممارساتي له أبعاده الثيلوجية والنفسية وتمثلاته الاجتماعية وتأثيرها على المخيال الجمعي للمنطقة.

لا شكّ أن نُظُمَ العيش في مجتمعات شمال إفريقيا ذات طابع بدوي بامتياز، وعند استدعاء الفِعل المؤثّر وهو الطبيعة نجد أن الأرض هي أساس اجتماع القبيلة والعنصر المشترك بينها ، وبما أنّ منطقة "بني وعزان" تضمّ مساحات ممتدة عبارة عن سهول خصبة زيادة على توفر الموارد المائية، أودية وعيون، فإن الاجتماع العمراني كان مرتبطا بها مستثمرا لها وهو ما أكسبه ميزة الاستقرار والاستمرار في عزلة عمرانية تنمو فيها جلّ القبائل البربرية والعربية، وهو السبب الرئيس الذي يجعل القبيلة أو العرش حاضرا في كل موسم محتفظا بالعلائق التي تثبت حضوره الزمني و وحدته الاجتماعية.

لقد كان المجتمع في عرش "بني وعزان" بسيطا في علاقاته وقوانينه، نظامُ حكم لا يخضع لسلطان ولا لمِلكٍ و لا لعرشٍ آخر، تنتخب القبيلة أعيانها وممثّليها الذين يقلّدون واحد منهم رياسة القبيلة توكل إليه القيادة والزعامة وفق ما يُشترط في القائد من مزايا وفضائل تجعل منه محلّ ثقة السكّان . إذًا فالمجتمع البدوي ليس كالمجتمع المدني متعدد الطبقات الذي يتميز بتنوع نسيجه الاجتماعي وتعدّد قياداته ، فشيخ العرش –الواحد- هو الذي ينظّم التداول على الموارد المائية ويعقد القران ويحلّ الخصومات وهو الذي تدين له النّاس باعتباره قوة سياسية ودينية تكرس روح العصبية القبلية ووحدتها التي تحقّق التملّك والتغلّب كما ذكر ذلك ابن خلدون[55].

نجد المجتمع القبلي بعرش "بني وعزان" يشترك في كلّ عاداته من لباس ومسكن وصناعة، فالمسكن ويكون في الغالب عبارة عن بيت الشعر أو الخيمة والغيران كما وصفه ابن خلدون يحيى في بغية الرواد يكون بالقرب من الأرض الزراعية فهي وسيلة تسهل عليه في الّتنقل داخل الأرض ، بخلاف المسكن في الحاضرة الذي يهتم سكّانه بتشييد المباني والأحواش وفق طراز معماري متحضر، زيادة على الخيمة وجدت بيوت الطين التي كانت منتشرة إلى فترة قريبة وهي توحي -نوعا ما-بالاستقرار والدّيمومة وهي ما تميّز سكان المنطقة عن البدو الرحل كـ"بني عامر" بصحراء تلمسان.

أما اللّباس فكان بقدر ما يقي الجسم ويستره ويُصنع عادة من مواد محليّة كالصوف وجلد الضأن الذي تعتني النسوة بإعداد هل يستعمل الاستعمالات المتعدّدة في الأفرشة والأغطية، وآنية الطعام كالقِربة و الشكوة، فيلبس الرجل السروال و القميص والقلنسوة و القشابية أو الجلابة في موسم البرد والخفّ والنّعل، ويلبس الأشياخ البرنوس و العمائم للتميّز، بينما ترتدي النساء لباسا ساترا مع تغطية الرأس بالعصابة أو خمار معقود، وشدّ الوسط بالحزام أو الرّباط .

بالنّسبة للصناعات في المنطقة كانت في الغالب عبارة عن حراثة الأرض وزرعها بما يتناسب مع طبيعة التربة التي تنتج نوعيات جيدة من القمح اللين والصلب وكذا الشعير كما وجد بالمنطقة أشجار مثمرة قريبة من الأنهار والعيون كالأراضي

المحاذية لواد الصفصيف (شلايدة) التي انتشرت بها أشجار الزيتون والتين منذ فترة البايلك العثماني ، وكذلك (غول يماس) و (الغناينة) لكونها مرتفعات، بينما منطقة (زديقة إلى العزايزة) فهي مساحة خصبة ممتدة إلى "قرب وادي يسّر(البرج وعين تقبالت) شمالا. وممّا تمتاز به المنطقة تربية الخيول للتنقل وخدمة الأرض، و الأبقار المنتجة و الغنم، مع بعض الصّناعات التقليدية كالنسيج والحياكة التي تشتغل بها النساء بالمنطقة[56]، وقد كان يعقد سوق أسبوعي لعرض هذه المنتوجات و بيعها أو مقايضتها بالمواد الضرورية كالحّبوب و الحطب و الفحم و علف الدّواب.

ما يمكن قوله أنّ التركيبة الاجتماعية للمنطقة المدروسة عبارةٌ عن فلاّحين يشتركون في نمط العيش الواحد لا تختلف عن باقي القبائل البربرية والعربية التي تقطن الأرياف، ينص ابن خلدون على نمط العيش البدوي بأن أهله كانوا مقتصرين على الضروري من الأقوات والملابس والمساكن وسائر الأحوال والعوائد، ومقصورون عما فوق ذلك من حاجي أو كمالي ، يتخذون البيوت من الشعر والوبر أو الشجر أو من الطين والحجارة غير منّجدة وإنما هو قصد الاستظلال والكن لا وراءه وقد يأوون إلى الغيران والكهوف واما أقواتهم فيتناولون بها يسيرا بعلاج أو بغير علاج البتة إلا ما مسّته النّار فمن كان معاشه منهم في الزراعة والقيام بالفلح كان المقام به أولى من الظّعن وهؤلاء سكان المدر والقرى والجبال وهم عامّة البربر.[57]

وكانت علاقة الأرياف مع الإدارة العثمانية علاقة اقتصادية تقرّب القبائل على حسب خدمتها لإدارة البايلك،[58] ولعلّ قبيلة "بني وعزان" كانت من القبائل المخزنية التي تُدِرّ بمحاصيلها للبايلك، خاصّة أنها تتبع لقائد المدينة، بخلاف بعض القبائل و الأحياء المجاورة لها التي كانت معادية للعثمانيين منذ البداية، منها أحياء من "سْوِيدْ" على ضفّة "واد يسّر" بالدّواوير القريبة من تلمسان الذين دخلوا في مواجهات مع حامية الترك الذين أرادوا انتهاب العلف و الحبوب من المطامير و المخازن لتموين الجيش المعسكِرِ بالمنطقة الشرقية.[59]

وكان في نظام البايات نواب و وزراء يديرون شؤون القبائل والعروش أحدهما كبير من أعيان الدوايرِ يسمّى "قايد آغا" ، والثاني صغير من أعيان الزمالة، يمتد حكمه لخمسة أعراش ، وتدخل بني وعزان في حكم "قايد آغا" باعتبار دائرة حكمه كبيرة.[60]

لقد انتقل العرش من الحياة البدائية القبلية إلى نظام استثمار الأرض، وهو نوع من التقدم الاجتماعي فالانتقال من نظام تخزين المحصول وتقسيمه بين الأفراد في موسم الحصاد لأجل الاستهلاك، تطور هذا النظام إلى آلية لجمع المحاصيل وتوريد الإدارة بها التي تقوم بدورها بتوزيعه وفق حاجات سكان البايلك عموما أو البلد أو تصديره نحو الخارج.

والملاحظ في هذه الطفرة الاقتصادية هو تعلّق أفراد العرش بالأرض والمحافظة على أبجديات الاستثمار وذلك من خلال العناية بموسم الحرث وموسم الزرع وموسم الحصاد وفي كل ذلك حافظ عرش بني وعزان على وسائله الزراعية التي تثبت الحفريات التاريخية أن سكان شمال إفريقية عموما يعتمدوها منذ العهد الروماني أو يزيد كالمحراث و استعمال الدواب كالثور والحصان والاستعانة بالمطامير لتخزين المحصول وتخزين المياه في صهاريج، كلّه من الفعل الإنساني البدائي الذي توارثه سكان منطقة "بني وعزان" إلى عهد قريب في محاولة صارخة لإعلان أسبقية الأرض و إعمارها منذ عصور طويلة [61].

وفي عهد الاحتلال الفرنسي أصبحت منطقة "بني وعزان" من المناطق المهمّة بمقاطعة الغرب حيث كانت الإدارة الفرنسية تعيّن على العروش "القائد" الذي يمثّل السلطة الحاكمة بالعرش تسهر على استقرار المجتمع وإدارة شؤونه، وقد كانت الجرائد تنشر قوائم القيّاد فورد في جريدة "المبشّر" قائمة القياد بعمالة وهران ونواحيها بتاريخ 28 جمادى

الأولى 1371هـ/15 فيفري 1855م، و كان قائد عرش "بني وعزان" بناحية تلمسان [62] هو السيد "سي بنقدّور" وخليفته هو السيّد "بوزنينة"، يعمل قائد العرش على السيرورة الحسنة للحياة الاجتماعية وتمثيل الرعية لدى الإدارة وتسجيل أداء العشور في موسم الحصاد، و تسجيل النزاعات بين الأفراد ، ومراقبة الانشطة والأسواق، معينا لسلطة القضاء و المفتين والمكاتب الإدارية الذين تعيّنهم الإدارة .[63]

6-تأثير العامل الديني على تحقيق التقدّم الاجتماعي:

إنّ الموقع الاستراتيجي للمنطقة الذي يمثّل خط ربط بين مناطق شرقية وأخرى غربية أضفت على المجتمع نوعا من الحركيّة الاجتماعيّة والتغيير الثقافي خاصة للالتصاق المنطقة بحاضرة تلمسان منذ فترة ما بعد الفتح الإسلامي ووقوعها على الطريق الرابط بين تلمسان و مزغرانوتيمسا (مستغانم و عين تموشنت) وقلعة بني راشد، أهم الحواضر بعد الفتح الإسلامي، فجُعلت منطقة بني وعزان نقطة عبور الجيوش الإسلامية نحو الشرق وكذلك كانت محطّة لرحلات العلماء الوافدة على حاضرة تلمسان منها وإليها، وكذا قوافل الحجيج المتجهة إلى البقاع المقدسة.

فهذه الحركيّة فكّت العزلة التي كان يعاني منها أفراد العرش أو القبيلة بالمنطقة، و جعلت الكثيرين من أهلها ينزحون نحو المدينة مع الحفاظ على أراضيهم وملكيتهم ، فقد أثبتت بعض الوثائق التاريخية أنّ بعض سكان المنطقة الشرقية كانوا ينزحون نحو الحاضرة فكًّ للعزلة ومواكبةٍ لتطور العمران بها[64]، التي شهدت دورا رياديا في بلاد المغرب الأوسط خلال القرون الوسطى، ولعل أهم عامل يمكن رصده من خلال الوثائق التاريخية هو المشاركة في الحياة العلمية والسياسية بالحاضرة، وهو ما يرسم لنا صورة للفعل الاجتماعي ومحاولة التقدّم والتغيير، فلم تكن أحواز تلمسان ومنها منطقة "بني عزان" تتوفر على معاهد ومدارس وجوامع كبيرة تنشر الوعي الثقافي وتكوين الناشئة في تلك الفترة إلّا في العهد العثماني الذي اعتمد المدارس والكتاتيب بالأرياف التّابعة للمساجد و الأوقاف التي تولي عناية للقرآن الكريم والتربية السّلوكية[65].

نجد في الوثيقة الأولى وهي كتاب "البستان" لابن مريم ذكرَ أحد أعلام الحاضرة يعود نسبه إلى منطقة "بني وعزان"، وهو "أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الوعزاني" ت981"، الذي يقول فيه ابن أبي مريم: "عالم تلمسان ومفتيها، الذي برع في المنطق والأصول" و هاجر إلى فاس بعد دخول الإسبان إلى تلمسان عام 951هـ، و هناك أصبح من كبار علمائها حيث عيّن خطيبا ومفتيا بجامع القرويّين[66] ، و أيضا ذُكر عمّه "عبد الله بن جلال الوعزاني"تق10هـ" وهو أحد كبار علماء تلمسان من طبقة أصحاب الإمام " السّنوسي ت899هـ" تتلمذ على يديه كبار قضاتها وعلمائها أمثال "محمد بن موسى الوجديجي"[67]، وأخوه "عبد الرّحمن" من ملازمي الشيخ "أحمد بن يوسف الملياني" بعد نزوله بقرية "العلويه" مع مرافقيه من أولاد زكري.

وهناك أيضا وثيقة ثانيّة وهي مخطوط "كعبة الطائفين و بهجة العارفين" ، لمحمد بن سليمان الصائم، يحكي فيها مؤلّفها العوامل والأسباب التي دفعت بوالده إلى ترك البادية التي كان يظعن بها مع قبيلته بمنطقة "بني وعزان" في النّاحية الشرقية والتحاقه بالحاضرة رغم ثرائه، هذا السبب الذي يقرب من سبب هجرة أبناء "جلال الوعزاني"[68] ألا وهو الارتباط الديني والانتماء الوجداني وملازمة أصحاب السّلوك والحب الإلهي من رجال التصوف الذين عمروا حاضرة تلمسان، فحسب رواية ابنه ينصّ على سبب الهجرة وهو التديّن أو التوبة على بعض شيوخ التصوف الذين كانوا ينزلون بهذه البادية في طريقهم إلى "أجادير" وجامعها للتدريس قادمين من الجهة الشرقية، فعبد فسليمان بن عبد الرحمن بن رزّوق بعد زواجه من ابنت عمّه التقى ببعض أعلام الحاضرة الذين استوطنوا بالقرب من هذه البادية منهم "محمد بن عاشور ابن علي الجادري" الذي كان يمتلك قطعة أرض بالقرب من واد الصفصيف، و "عبد الوهّاب

السويدي"، ليتضح لنا أنّ حب التغيير والتقدم الاجتماعي كعامل نفسي كان حاضرا في ذهنيّة سكان البوادي و منها بادية "بني وعزان"، يقول ابن سليمان الصائم: "ثم تزوّج أبي بنت عمّه أمّي على سنة الله ورسوله، وعلى يد شيخه سيدي محمد بن عاشور بن سيدي علي بن يحيى السّلكوني الراشدي[69]، وعلى يد شيخهم سيدي عبد الوهاب بن حميد السويدي[70] نفعنا الله بهما، وذلك بعد توبتهما و رجوعهما إلى الله على يد الشيخين، فجمع الله بينهما في الحاضرة ورفضا البادية"[71].

فنزول العلماء والمتصوّفة بأقطار العرش أثناء أسفارهم ورحلاتهم التعليمية باعتباره نقطة عبور مهمّة منذ الفتح الإسلامي نحو الشمال الشرقي ساهم في تكوين عقلية دينية لدى الأهالي بل إنّ الجزولي نفسه كان يلتقي بشيخه "موسى اللالاتي" بزاوية العبدون بأوزيدان، وكان أعيان وشيوخ "بني وعزان" يقصدون هذه الزاوية القريبة لتلاولة القرآن الكريم وأخذ الأذكار و مصافحة العلماء و إلّا لمِا لقي الجزولي شيخه بهذه الزاوية إلّا لأنها منارة روحية و علميّة و منزل للعلماء.

وفي فترة الرباط وتحرير البلاد من الإحتلال الإسباني كما سبق كانت "بني وعزان" منزلا للمرابطين و مُموّنا لهم، ومن أكبر القرائن التّاريخية على نزول الكثير من العلماء بالمنطقة وحضور الجانب الدّيني في ذلك، هو التوقيع الثيولوجي الكبير المتمثّل في نزول شيخ الشيوخ القطب "أبي مدين شعيب" في طريقه من بجاية إلى تلمسان بعد طلب السلطان الموحدي "يعقوب المنصور" بالضبط في هضبة "عين تقبالت"[72] المحاذية لوادي يسّر [73]عندما اشتدّ مرضه، ولايزال أهل المنطقة يحيون هذه الذكرى مع نصب يخلّد حياة العارف "أبي مدين"ت594هـ.. هذا ما يدفعنا إلى تحديد اختلاف المقصد والغاية من الهجرة بالنسبة لأهالي المنطقة والفرق بينه وبين سبب هجرة البدو الرّحل الذي كان ماديا بالدرجة الأولى للبحث عن الكلأ والماء ، بل كانت القبائل المرتحلة تنزل بالمنطقة للظعن ماساهم في تنوّع التركيبة السكّانية بالمنطقة كقبائل الحشم و سويد من أولاد زغبة وحتى قبائل الغرب كبني يزناسن و مصمودة وأولاد زكري.

بدأ العامل الديني يسيطر على مخيال سكان البوادي الذين كان دينهم في الغالب أسطوريا منبثقا من الطبيعة والأرض التي يعمرونها إلا أنّ بعده الاجتماعي يساعد الأفراد على تطوير شعورهم بالانتماء إلى الجماعة ويمدهم بالدعم المعنوي ويزيد من التلاحم والاستقرار الإجتماعي.[74]

لقد بات الطّقس الدّيني يحاكم عادةَ أفراد عرش "بني وعزان" في انتقالةٍ جمعت بين التديّن البسيط المرتبط بالطبيعة والتديّن المتعالي الذي يقدّس ما هو علوي سماويّ، وقد لمحت هذه الدراسة هذا التأثير في القرن الأخير عندما انتشرت الأضرحة ومقابر الصالحين بمحاذاة الأراضي الفلاحية[75]، ولعل أهم حادثة في هذا الصدد هي مواراة جثمان الشيخ الصوفي الحسين بن أحمد اليماني ت 1288هـ/1871م بقرية "زدّيقة"[76] الذي توفي بمنطقة "بني صميّل"[77] حوز تلمسان ليصبح لـ"بني وعزان" مقاديم للزاوية الزيانية القندوسية التي أسّست بأجادير سنة 1337هـ/1919م، وهو ما يشعر بحضور التدين الصوفي لدى ساكنة عرش "بني وعزان" الذي يتلاءم مع البنية الجغرافية للمنطقة، التي كانت تستلهم الحضور الديني من حاضرة تلمسان وباقي الأحواز[78]، ما يثبت صدق فرضية ما قرّرناه من تعلّق السكان بالأرض والدّين على عادة الإنسان الأوّل، أنّ من قواعد التصوّف الشعبي كما جاء في "كعبة الطائفين" السعي في البوادي للتأمل والتفتيش عن الصالحين الذين صفيت سرائرهم وعظم قربهم من الله تعالى، نجد " ابن سليمان الصائم" يخرج إلى البادية التي نشأ بها والده لملاقاة أصحاب السّلوك الذين يعرفهم فالتقى هناك بامرأة صالحة اسمها "فاطمة بنت أبريخوا الوعزانية" وذلك بعد عودته من جهاد الإسبان بوهران .[79]

يقول: "وفي بادئ خروجي زرت صلحاء البوادي فالتقيت مع الوليّة المؤمنة الصادقة المتصدّقة "فاطمة بنت أبريخو الوعزانية" وكانت محبّة من أهل المحبة تبيت باكية ذاكرة فأخبرتني بصفة أولادي ولم ترهم قبل بقولها: لاش يا أخي تنتف ريش الكبير و أصبر لإذايته والأوسط مصباح فتّاش يضيء في يدك بارك الله فيه، وأما الأصغر عزيز النفس لا يضرّه أحد

وسيكون له شأن إن شاء الله. وصدقت فيما قالت، ثم قالت: رأيت لك خيرا كثيرا ولا أبوح به لإخوتك ليلّا تضرّهم الغيرة فمن ذلك رأيتك مع النبيّSوأنت بعمامتك وعبايتك الخضراء متطهرا مستبشرا بصدرٍ يقول للحاضرين –لاش تقولوله محمد الجزولي قولوله محمد المجاهد - فحَمِدْتُ الله وذهب مابي من الخوف "[80]،إذا فالجزولي رغم أنه من أهل العلم ووالده من أهل المعرفة وكان مقيما بالحاضرة إلّا أنّ بادية "بني وعزان" لا تزال مصدرا روحيا مُلهِما لأهل التصوّف وشيوخه، و التصوّف الشعبي لم يقتصر على الرّجال بل كان حاضرا في الوسط النسوي و بقوّةٍ بهذه المنطقة إلى عهد قريب ماتزال أسماؤهنّ على ألسنة الأجيال، منهنّ أيضا ابنة الشيخ العبدلي الذي تزوّج ابنة سليمان برّزوق أنجب معها أولادا منهم السيّدة عائشة العارفة التي زوّجها لعيسى بن "مولاي الشريف" التي كانت من أصحاب المحبّة و الكشف[81].

هذا هو ديدن التصوف الشّعبي البسيط الذي يعتمد على التأمل ومجاهدة النفس الذي كان منتشرا بالبوادي والأرياف بأحواز تلمسان وغيرها في الفترة المتأخرة من الحكم الزياني إلى العهد العثماني، بخلاف التصوف الإشراقي الفلسفي الذي وفد من الأندلس وهو تصوّف الخاصّة.

أمّا عن الهجرات الجماعيّة فلم نرصد تاريخيّا هجرة جماعية سوى هجرة الكثير من أفراد القبائل التلمسانيّة إلى الوسط خلال فترة توسّع رقعة الدولة الزيّانية التي توسّعت إلى مليانة وشلف والمديّة في فترة حكم السلطان أبي ثابت ومن بعده.[82] وقد عرفت قبائل المغرب العربي إلى عصر قريب هجرات جماعيّة تترى ، كهجرة العمور من جبل العمور نحو صحراء تلمسان، وهجرة الأسر الزكراوية المتاخمة لوجدة وفجيج، وهجرة الحشم أيضا، و الهجرة التي شهدتها قبيلة "مديونة" التي نزحت من المغرب ثمّ استقرّت بأطراف تلمسان التي كانت تسمّى بمديونة الغرابة/سبع شيوخ، ومديونة الشراقة قرب إقليم مدينة عين تيموشنت، ثمّ نزحت ثانية نحو البطحاء/غليزان، واستقرّت هناك، ولهذه الهجرات أسباب اجتماعية كالكوارث البيئية والطّاعون والاقتتال بين القبائل المتجاورة، وأسباب سياسية كالإقصاء والنّفي والتمرّد، و ثمّة أسباب ماديّة تتمثّل خاصّة بالبحث عن الكلأ والمرعى.

7- التمثّلات الاجتماعية للعادات والتقاليد بالمنطقة:

تعد القبيلة أو العرش الوحدة الاجتماعية الأساسية التي انبثقت منها العوائل والأنساب عبر الأزمان، وفي خضم القبيلة و عرش "بني وعزان" أَنتجت القوانين والأعراف أنماطاً للعيش سواء في نواة العرش الأولى البربرية وبعدها عِمارة العرب للمنطقة، فاختلاطهم بالبربر زاد المجتمع القبلي بـ"بني وعزان" تنوعا ثقافيا ولهجيّا يتجلى في احتفالاته وعاداته اليومية. فمن العادات المرافقة لحياة السكّان الاجتماعيّة تقديم الوفد لاستقبال الحجيج والمعتمرين والاحتفال بسابع المولود وختانه تصاحبه الأغاني والتهليل و طقوس وأذكار تقول الأم: " لبّستلك حرز الحسن والحسين ما تمسّك عين" ويربط الحرز أو الحجاب بمعصمه أو رقبته[83]، والاحتفال بزفاف العروس بإقامة الوليمة الخاصة بالنساء و الخاصة بالرّجال ، وتأبين الميّت و صنع العشاء أو الصدقة، وطقوس طلب الغيث المتمثلة في الاجتماع على الصدقة كطقس "غنجة" وهي امرأة صالحة تُعَدَّدُ مناقبها في زجل ينشده الصبيان و الصبايا ماشين بين الزقاق[84] لتساهم النساء بالدقيق والسمن الذي يصنع به طعام يأكل منه الصغار وعابري السبيل ، ثم يختم بدعاء طلب نزول الغيث، ومن ذلك أيضا الطواف بالثور المعلوف في فصل الشتاء مع آلة الطّرب يطاف بها على القطر جميعا إلى أن يعلن يوم يجتمع فيه أهل المنطقة ويحضره المقدمون و الشيوخ،ينحر ذلك الثَّور ويصنع بلحمه طعام يأكل منه الحاضرون وعابرو السبيل وهي عادة قديمة بالأحواز [85]،كان حوز بني وعزان يحيي هذه الطقوس إلى عهد قريب جلبا للبركة و التأليف بين أهل المنطقة.

-**تمثّلات الاحتفالات الموسمية:** في موسم الخريف تحيي المنطقة المهرجان السنوي الفنتازيا في جو احتفالي ذو روح طقوسية يتوجه فيه سكان العرش إلى رسم خارطة ثقافية للمنطقة في محاولة من أشياخها وأعيانها إلى إحياء الروح

القبليّة التي ورثوها عن سابقيهم ومحاولة جمع الأجيال اللاحقة حول عصبية العرش باعتبارها نواة المجتمع الكبير المتمدن [86]، لربط اللاحق بالسابق، فالأشياخ والوجهاء يمثلون القرابة و وحدة النسب للعرش وهي عنصر أساسيّ[87]. لقد جمعت احتفالية الوعدة الموروث المشترك العربي الأمازيغي الذي مارسته القبيلة منذ عقود في نسق ثقافي معبرٍ عن حياة العرش ، الذي تُمَثّلُ فيه الأرض الأصل والأساسَ في اجتماع القبيلة، زيادة على النسب ورابطة الدّم كما تقدّم، فالبنية الجغرافية أحد أهم مقاصد هذه الاحتفالية التي ترسم الحدود الجغرافية للمنطقة نلاحظ ذلك في التداول على هذه الاحتفالية بين سكان القربو المداشر المنتسبة للعرش فهي تصوير تاريخيّ لأصل الاجتماع البدوي الأوّل الذي كان نواة هذا التجمّع الكبير, أما عن النسق الثقافي للاحتفال في منطقة "بني وعزان"، فهو متألف من:

أ- **الخيالة أو الفنتازيا:** وهي عبارة عن استعراض عسكري للعرش بوحداته في فترة متأخرة للعهد العثماني يتفاخر فيها السكان بامتلاكهم نخبة من الفرسان كتلك التي كانت تشارك الأمير عبد القادر والإدارة العثمانية في معاركها، يتزين الفارس بلباس حربيّ مع سرجٍ للفرس يصاحبه كلمات تعبّر عن الفخر و الأمجاد يسمّى بـ"العياط" ، ثمّ تتصافّ الخيّالة غدوّا ورواحا مع إلخلاء طلقات البارود. تسمى المجموعة الواحدة من الخيالة بـ"العلفة"، وبما أن هذا المظهر الثقافي مشترك بين جل قبائل التراب الوطني فإنّ الخيالة تتوافد من كل الربوع في تعبير منها على الوحدة الوطنية الكبرى التي حلّت محل القبليّة الصغيرة، في صورة ثانية لتشكّل الجيش الوطني أيّام المقاومة الشعبية ، ولا يزال بمدخل قرية "عميّر" تمثال لفارس يمتطي فرسه متوجّها جهة الشمال ، في تعبير من سكّان المنطقة عن احتفائهم بالفروسية و بالخيل التي هي جزء من الثقافة العربية الوطنية .

ب- **الإطعام:** المتعارف أنه من طبق الكسكس الذي يجمع هو الآخر كل أطياف الشعوب المغاربية الأمازيغية التي اعتمدته الأسرة البربرية كطبقٍ رئيسٍ في مائدتها التي كان مصدرها هو ما تنتجه الأرض من حبوب. يقوم سكان المنطقة بإكرام وضيافة الحاضرين في أجواء تعبر عن كرم وسخاء سكان العرش الذي توارثته الأجيال من لدن النواة الأولى.

ج-**الفلكلور:** وهو عبارة عن قصائد ومدائح شعبية وغناء ورقص يجمع بين الطابعين الأمازيغي والعربي هو مشترك بين عدة من مناطق التراب الوطني، حيث تجتمع الفرق الفلكلورية من مناطق الوطن لإحياء هذا الحفل السنوي، خاصة فرق العلاوي و " القَوّالين" الذين يلقون قصائد و أزجال شعبية يثنون فيها على المنطقة وأهلها مع التذكير بمكارم الأخلاق وشيم المروءة والكرم .

د- **الطقس الديني:** يتجلى في التذكير بمقام الصالحين ودعوة الناشئة للحفاظ على القيم الدينية وإحياء التصوّف الشعبي الذي ذكرنا في ما قبل حضوره بعرش "بني وعزان" منذ القدم وذكرنا من شأن الصالحين بالمنطقة، و انتشار حلق الذكر التي يقوم عليها مقاديم الطرق الصوفية كحمداوة بزاوية "الفُقْرَا"[88] و الطريقة الزيانية القندوسية التي ووري أحد شيوخها وهو "الحسين بن أحمد القندوسي اليماني" بقرية "زديقة" -قبل تأسيسها -استحضارا لحفظ وبركة الصالحين في صورة ربط الأرض بالسماء أو بما هو علوي كما جرت العادة في سلوكات العرش الغابرة.

هـ- **السوق:** لاشكّ أن للسوق دلالة اجتماعية كبيرة تتمثّل في ارتقاء المجتمع البسيط إلى مجتمع منتظم له صناعاته وإنتاجه ، فقد كانت أسواق الموسم إلى فترة متاخّرة تستعرض المنتوجات المحليّة كالزّرابي و الفُرش و القُفَف و الأواني ، زيادة على المحاصيل الموسمية من خضر وفواكه و أعشاب، فالسّوق بالمنطقة و إن كان بسيطا فهو يعبّر عن احتياجات سكّان المنطقة وتنوّع طرق عيشهم ، لذلك كان حضور السوق في احتفالية الموسم بمثابة توسعة للنشاط التجاري بالمنطقة بغرض العرض والطلب .

إن الاحتفالية اليوم في عرش "بني وعزان" ليست طابعا ثقافيا فحسب بل هي تديّن واعتقاد باستمرارية العرش منذ وجوده وحلوله بالفضاء الجغرافي وحفاظه على الأسس الكبرى التي كونت وبعثت به إلى حيّز الوجود، وعلى وجه الخصوص الأرض ورابطة النّسب وذلك من خلال التسمية التي يطلق عليها الحاضرون "وعدة عرش بني وعزان" فيه دلالة على قوة الرابطة و الاستمرار وهي خصوصية في هذه المنطقة بخلاف مثلا وعدة "سيدي يحيى بن صفية" بمنطقة أولاد النهار التي اعتمدت روح الوليّ كرابطة أساسية و شعيرة صوفية شعبية للتبرك بتربة أرض الوليّ، فعرش بني وعزان يحتفي بكلّ مكوّناته سواء السابقة أو اللاحقة من قبائل معقلية و عامرية وغيرها .

خاتمة

بعد هذه الإطلالة في أهم المراحل التاريخية التي مر بها عرف بني وعزان يمكن أن نخلص إلى النتائج:

-أصل نسب "بني وعزان" يرجع لبطون القاسم من بني عبد الواد البربرية على ما ورد في فروع وبطون زناتة، لكن مواطن "بني وعزان" غلب عليها القبائل العربية المعقلية والعامرية التي ساهمت في إعمارها.

- إن الحياة في منطقة "بني وعزان" سابقة لما قبل الغزو الروماني، وذلك لوجود آثار اختطاط الرومان تجمعات سكانية ومعسكرات بالمنطقة توحي بوجود الحياة بها، كمعسكر بوجرار و مستوطنة قصر حانون وباقي النقاط الرابطة بين بوماريا و "تيبدايو"ألبداي" وقنطرة –كورسي- ، ومناجم "الرخام" و "تقبالت" وهي حركة الإنسان البدائي.

- التنوع البشري في منطقة بني وعزان بين قبائل البربر التي يعود أصلها لزناتا، بني ويفرن و مغراوة وقبائل أخرى عربية من خراج المعقل اليمنية وبني عامر الهلالية، يدلّ على أنها مستقرّ ومنزل الأنسان منذ القديم.

- تنقلات الأسر الوعزانية واستقرارها بالحاضرة تلمسان أو النزوح العسكري بسبب الغزو والإعمار بمناطق الوسط في عهد توسع الدولة الزيانية ، يدلّ على مساعي التقدّم الاجتماعي و المساهمة الاجتماعية من قبل أفراد العرش .

-تعتبر الأرض الرابط الأساسي لعرش بني وعزان زيادة على النسب والقرابة خاصة بعد اختلاط العربي بالبربر مما أعطى قوة لوجود العرش واستمراريته، ساهم ذلك في تطوّر التديّن بالمنطقة من العصر الحجري إلى العصر الروماني ثمّ العصر الإسلامي .

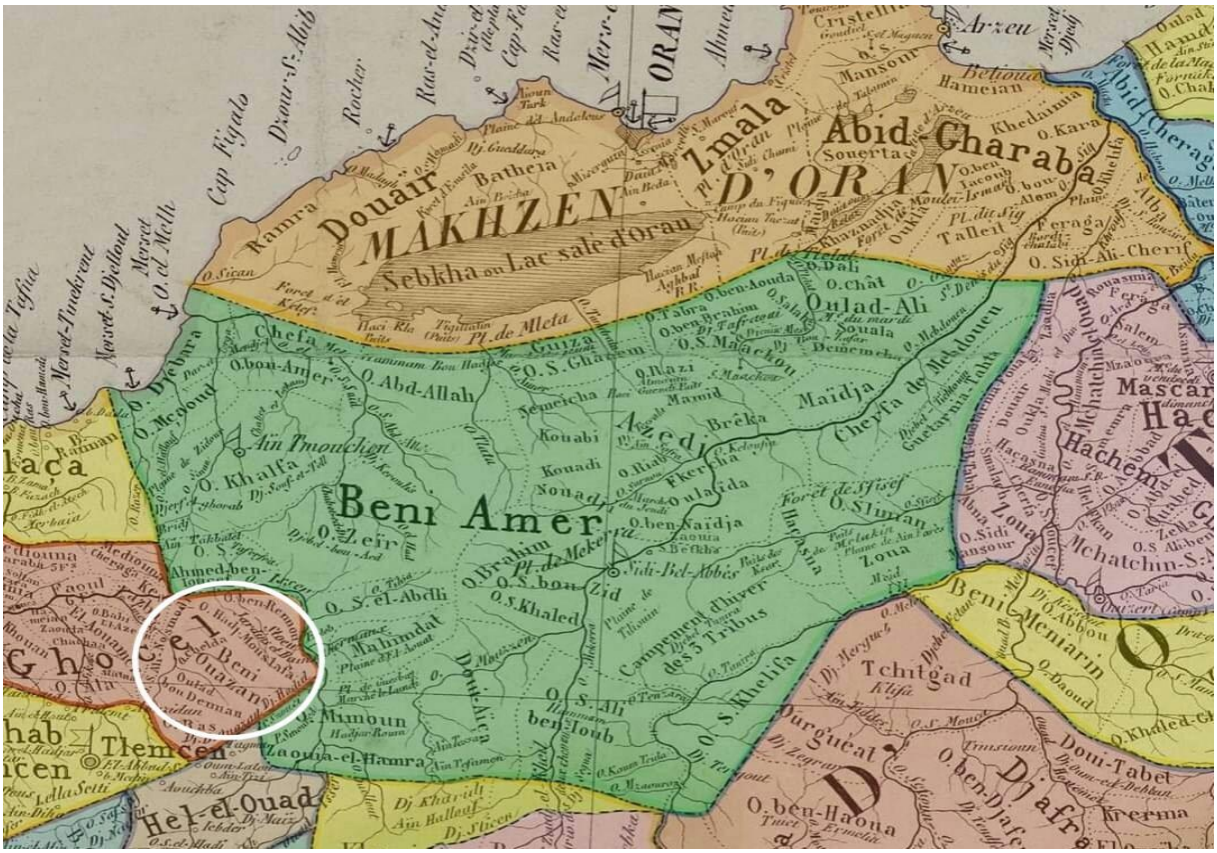
-لا يختلف "عرش بني وعزان" عن باقي العروش والقبائل المنتشرة في أحواز تلمسان وغرب الجزائر باعتباره امتدادا للمجتمعات البسيطة التي تعتمد خدمة الأرض كمصدر عيش أوّل تسلهم منه نمط عيشها و تحاكي الطبيعة في توجّهها وتديّنها و بقائها .

-ساهم أفراد المنطقة في الأحداث التاريخية منذ استقرار الحياة بها بدء بمقاولة الاحتلال الروماني ثم نصرة جيوش الفتح الإسلامي و تقوية الدول والممالك بالمنطقة، إلى محاربة الاحتلال الإسباني والفرنسي، انطلاقا من الوازع الدّيني أو التديّن.

-تنوّعت عادات وتقاليد العرش التي يحافظ عليها أفراده والتي تثبت رسوخ المنطقة وتجذرّها ومن ذلك الاحتفالات السنوية المتعلّقة بالمواسم والأعياد والأفراح، مع حضور الطّقس الدّيني الذي تطوّر بتطوّر الإنسان الأوّل .

-لقد كان للتصوّف الشعبي حضور قويّ بمنطقة بني وعزان وساكنتها بما فيه الوسط النّسوي الذي حفظ نماذج تاريخية كانت مصدر استلهام للعارفين الصوّفيّين في المرحلة التاريخية الأخيرة تتجلّى في انتشار الزوايا و حلقات الذّكر التي تشرف عليها الطرق الصوفية بالغرب الجزائري كالطريقة القندوسية و الحمداوية والعيساوية .

1-خارطة من الأرشيف الفرنسي تبين التقسيم على أساس انتشار القبائل بإزالة الغرب.



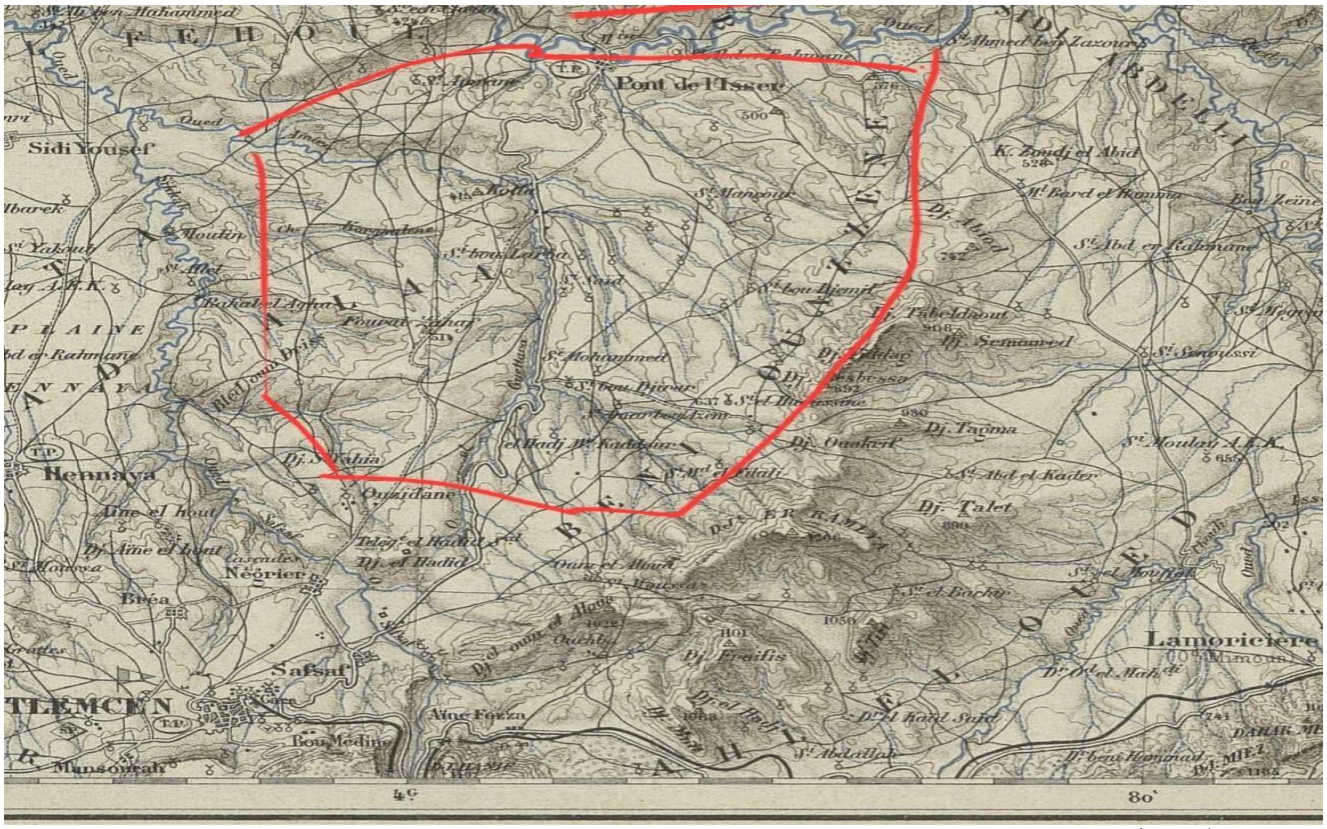


قبائل غرب مقاطعة موريطانيا القيصرية

Yahiaoui(Nora), Le confins occidentaux de la Mauretanie Cesarienne. p. 170



3-تموقع منطقة بني وعزان بين مدن رومانية : pomaria/ Tepidae / Altava/Hdjar ouagaf



4-خارطة من الأرشيف الفرنسي، Lannoy de Bissy 1844/1906.

الهوامش:

[1] تلمسان في العصور العتيقة- محمد الحبيب بشاري، مجلة أفكار وآفاق، العدد03-2012, جامعة الجزائر 2, ص 151.

[2]ينظر: تاريخ إفريقيا العام- جمال مختار ،طبعة جين أفريك- اليونسكو، ج2/ص432 .

[3]وصف إفريقيا- الحسن الوزان الفاسي، ترجمة محمد حجي، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط2, 1983م، ج1/ص10.

[4]الليميس عبارة عن شبكة طرق تربط المستوطنات والمدن الرومانية وفي نفس الوقت كبح زحف القبائل الرّحل والحدّ من هجوماتها، فالغاية من المراكز والتحصينات على خطّ الليميس هو هذا الذي ذكرنا. ينظر: تطوّر الدولة في المغرب – محمد شقير، دار إفريقيا الشرق- الدار البيضاء ، 2002، ص161.

[5]synthese des decouvertes numismatiques dans la region ouest de lAlgerie -d.DaloumSAID .institut d Archeologie.p14.

تبيداي: أو عين الحمّام ببلدية سيدي العبدلي ، كانت مدينة رومانية بقيت منها آثار إلى عهد قريب .

ألبيداي : مدينة رومانية كبيرة بمنطقة عين تيموشنت.

غول يماس: تسمية بربرية بمعنى أم الغول ، لاتزال هذه التسمية باقية وهي من قرى المنطقة المدروسة.

[6]Voir Revue Africaine volume 55-Alger 1911. Societe historique Algerienne- place centrale de ben Aknoun . P 161-162.

[7]ينظر : بغية الرواد – يحي ابن خلدون، مطبعة فونتانا الشرقية- الجزائر ، 1903, 28/2. كلّ هذا يبيّن الأهمّية الاستراتيجيّة للمنطقة الشرقية في تنقّلات الجيوش والقوافل .

[8] المملكة النوميدية والحضارة البونية – محمد الصغير غانم، دار الهدى- عين مليلة الجزائر، 2006م، ص 125.

[9] حانون اسم لابنة السلطان الحفصي أبي إسحق التي خطبها يغمراسن بن زيان لابنه أبي سعيد عثمان فأرسل من يأتي بها ثمّ لحق بهم للقائهم فأدركه الأجل بواد رهيو ، ولم يعلن ابنه عن وفاته حتى بلغ واد يسّر عندها بويع أبو سعيد سنة 681هـ/1283م ، فلعلّه نزل بالموضع المقصود بالدراسة فتسّت به. ينظر : تاريخ بني زيان من نظم الدر والعقيان- محمد بن عبد الله التنسي، تحقيق: محمود بوعياد،موفم للنشر- الجزائر، 2011، 129/1 . إلّا أن المحكي الشعبي يقول أنها أميرة تركية كانت تتحصن بالمنطقة أيام الغزو الفرنسي. وهناك أيضا" قصر حانون " بأغدير- تلمسان.

[10] لعلّ اسم بوجرار يعود لقائد الجيش عمران بن موسى بن جرار و أخيه الذان كانا طرفا موقعة واد سكاك قرب قنطرة وادي يسّر فلربّما عسكر بالمنطقة فتسمّت به خاصّة لمّا كانت معالم تحصيناتها الرومانية بارزة ، وبالتقادم اختصرت بلفظ "سيدي بوجرار" تماما مثل "عمّي موسى" اسم أبي حمّو موسى السلطان الزياني. ينظر: تاريخ بني زيان من نظم الدر والعقيان، 151/1.

[11]Synthèses des découvertes Numismatiques dans la région ouest de L Algerie- p.DeloumSaid, Instututd'archéologie ,universété d'Alger2

[12] أو عين الحمّام ببلديّة سيدي العبدلي شرق تلمسان، التي مازال بها بقايا الحمّام الروماني، كانت مسرحا لمعارك كبرى في العهد الروماني و الإسلامي ، واتخذّها الزيانيون منتجعا ومنزلا لهم .

[13] ، المجلة العربية الثقافية – عدد 4-5، سنة 1983، ص92 .

[14] هو معسكر دائم عبارة عن مدينة صغيرة تتضمن المخازن والاسطبلات وساحات التدريب ، تطلّب تشييده مجهودات ضخمة وتزويده بكافّة الاحتياجات العسكرية، بُني على الأرجح بين القرن الثاني و الأوّل قبل الميلاد.

ينظرعن بناء هذه المعسكرات: جغرافية المغرب العربي- يسري جوهري، مكتبة الإشعاع -القاهرة ، 197، ص58.

[15]تاريخ الجزائر-أحمد توفيق المدني، المطبعة العربية- الجزائر،1350هـ، ص12.

[16]ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر-عبد الرحمان بن خلدون، وضع حواشيه:خليل شحادة، دار الفكر – بيروت،ط1, 1401هـ/1981م، ج7/ص 97 .

[17] وعبد الحق هو الذي استنقذ الغنائم من يد بني مرين ، وقتل المخضب المسوف حين بعثه عبد المؤمن مع الموحدين لذلك.ينظر: المصدر نفسه، 7/97-98 .

[18] الكثير من أسماء المناطق و الحيوانات والجمادات عرّبت من اللسان البربري، وهناك مناطق و أسر حافظت على شيء من تلك اللهجة التي تعرف بالشلحيّة في غرب تلمسان من قبائل بني سنوس و يزناسن والزكارة ،وجنوبا بعين الصفرا وأرض الجريد. والملاحظ عليها أنّ أسماء الحيوانات والجمادات بقيتّ على أصلها مثل المطر: آنزار، الأرض: طامورث، أيّ الأشياء التي تتعلّق بالطبيعة، وكان لسان بني زيان و قبيلهم زناتيّ على ماذكره ابن خلدون وغيره. ينظر: تاريخ ابن خلدون 7/7.

[19]تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من الدرّ والعقيان – محمد بن عبد الله التنسي، تحقيق: محمد آغا بوعياد، طبعة وزارة الثقافة – الجزائر، 2011م،ص109 .

[20]ينظر: تاريخ ابن خلدون، 98/7

[21]ينظر: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد – أبو زكريا يحي بن خلدون، مطبعة فونطاناالشرقية- الجزائر، 1321ه/1903م، ص89.

[22]بغية الرواد- 102 .

[23] أصل التسمية " إزناتن" بلسناهم ، و كانت تلمسان و نواحيها قاعدة زناتة بفروعها وبطونها منهم مغراوة و بنو يفرن ومديونة و توجين وبنو ورنيد . وبقي اسمها اليوم وهي تابعة لبلدية الحناياشمال شرق تلمسان تبعد عنها حوالي 15 كلم .

[24]المصدر نفسه، ص96

[25]المصدر السابق، 95 .

[26]ينظر : تاريخ ابن خلدون: 17/7.

[27] .ينظر: زناتة و الخلافة الفاطمية –سنوسي يوسف إبراهيم ، مكتبة سعيد رأفت- القاهرة ،ط1، 1986م. ص302.

[28]تاريخ الجزائر- توفيق المدني،ص 13

[29]تاريخ الجزائر القديم والحديث- مبارك الميلي ت 1364ه،تقديم: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر، ط1406ه/1986م، 317/1.

[30]تاريخ ابن خلدون، 77/7.

[31]بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى- جورج مارصيه، ترجمة: محمد هيكل، مطبعة الإنتصار-الإسكندرية، 1991م، ص231.

[32] Le royaume Alger sous le dernier Day- LOUIS RINN ,librairie Adolph Djordan,Alger,p 66.

Cercle de Tlemcen, aghalik des Ghossels, état statistique (1863) rapport sur la delimitation de l'aghalik(1863), procès-verbaux de bournage des douars(1863-1868).

[33]ينظر: تاريخ ابن خلدون، 68/6 .

[34] ينظر: مجموع الحسب والنسب والفضائل والتاريخ والأدب- بلهاشمي بن بكار، مطبعة ابن خلدون- تلمسان، 1381ه/1961م، ص 279. وعائلة مصمودي من أكبر العوائل بالمنطقة على غرار: زيرار، براهمي، هواري ، بوزيزة، عزوز، بن أحمد، سلهام، مشرنن، عماري، عبدلي، تابتي، عينة...

[35]تاريخ الجزائر- توفيق المدني ، 141.

[36] حيث الأحياء الموالية له ينزل عندها في طريقه نحو المشرق ، بنو راشد ، بنو طاع الله، بنو عامر بتاسالة، والقعدة .

[37] ينظر: تلمسان في العهد الزياني- عبد العزيز الفيلالي، موفم للنشر و التوزيع – الجزائر ، 2002م، ج1/ ص68 . ينظر: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان – التنسي، 227- 228 .

[38]الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى – أحمد بن خالد الناصري، ت1315ه، تحقيق: جعفر الناصري، دار الكتاب – الدار البيضاء، ج6/ ص30 .

[39] ابن أبي محلى الفقيه الثائر – عبد المجيد القدوري، منشورات عكاظ –الرباط، 1991م، ص86 .

[40] المصدر السابق ، ص87 .

[41] هو سليمان بن رزّوق الحجازي من قبيلة الحُجْز أصله من أهلال أنقاد وكان أجداده ممّن نزلوا بالمنطقة المدروسة للظعن أو النجعة .

[42]كعبة الطائفين مخطوط، لوحة 134, تعد وثيقة تاريخية مهمة في مشاركة الطرق الصوفية ومورديها في مقاومة الاحتلال الإسباني في القرن العاشر الهجري .

[43]ينظر: دليل الحيران و أنيس السّهران في أخبار مدينة وهران- محمد بن يوسف الزياني، تحقيق : المهدي بوعبدلي، عالم المعرفة- الجزائر، ط1، 2013م، ص 215.

[44] ينظر البستان: ص104. و ضبط عند غيره بـ"المَغَاطيسْ"

[45]مخطوط فتح وهران- عبد الرحمن الجامعي، المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 2521م، ص45. نقلا عن: تحرير وهران الحدث والّرمز- محمد غانم، مجلّة إنسانيات، عدد 79، جانفي- مارس 2018م، ص17.

[46] الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني – أحمد بن سحنون الراشدي، تحقيق: المهدي بوعبدلي، عالم المعرفة –الجزائر، ط1، 2013م، ص 227 .

[47] ينظر: تطور الفكر الاجتماعي العربي -1917م/1945م ، أ. ليفين، ترجمة أنور إبراهيم، هنداوي للنشر – القاهرة، ص49 .

[48]ينظر الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى- أحمد بن خالد النّاصري (ت1315ه)، تحقيق: جعفر النّاصري ، دار الكتاب- الدار البيضاء المغرب، دت، ج3/ص45، وينظر: أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد- أبو الحسن عليّ التسولي (ت1258ه)، تحقيق: عبد اللطيف أحمد صالح، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1996م، ص107 .

[49] قام الأمير عبد القادر بملاحقة قبيلة أنجاد بعدما عزمت على اقتحام قلعة المشور و إخراج قائد تلمسان ابن نونة الموالي لجيش الأمير، وأصيب في تلك المعارك شيخهم الغماري ، و ذلك تزامنا مع الحملة الفرنسية التي شنها الماريشال " كلوزيل" سنة 1836.

Voir Annales Algeriennes 1848 a 1854- PELLISSIER DE REYNAUD. Tome 2eme. Libraire Bastide- Alger. Octobre 1854. P41.

[50] تعتبر قنطرة واد يسّر منطقة عبور مهمّة تربط بين تلمسان والساحل الشرقي مرورا بعين تيموشنت، تجمع هذه المنطقة بين ثلاث نقاط كبيرة وهي بن سكران وعميّر و عين تاقبالت "قرب الفحول"، وقد سبق بيان أهمّ النقاط في العهد الرّوماني، وفي الدول الإسلامية زادت حيوية هذه المنطقة في عبور القوافل والجيوش و رحلات الحجيج ، أمّا عبور الجيوش والحاميات العسكرية فهو كثير ومن ذلك تراجع السلطان الحفصي بعد فشله في دخول تلمسان فعسكر بوادي يسّر منسحبا من جهة عين الحوت. ينظر: البستان، 137 .

وهو طريق مختصر نحو الساحل من الجهة الشرقية مقارنة بالطرق والمسالك الجبلية الأخرى كنقطة سبع شيوخ الذي يعتبر طريقا مختصرا نحو موانئ بني صاف ، اتخذه السلاطين الزيانيون في تنقلات جيوشهم في حالة الغزو والانسحاب، إلى وهران وعلى نفس الطريق وبالضبط بمنطقة "شعبة اللحم "بعين تيموشنت وقعت معركة كبيرة بين أبي زيان أحمد الثاني و أخيه المخلوع أبو عبد الله محمد الثابتي وهو في طريقه من وهران إلى تلمسان، وذلك سنة 949ه/1542م . ينظر: تلمسان في العهد الزياني – الفيلالي ، ج1/ ص 78 .

[51] أسكاك أو سدّ أسكاك هو امتداد لواد صفصيف بقرية عين وهاب ، يلتقي مع واد يسّر قرب الفحول على بعد حوالي 30 كلم من تلمسان .

[52]Voir Annales Algeriennes. P44.

منها جبل البرابر بين يبدر وتلمسان الذي كان سكنى البربر الناطقين باللسان الزناتي، وجبل حمزة منزل الشرفاء الأدارسة إضافة إلى جبال بني سميّل التي تشكلّ سلسلة جبلية فاصلة .

[53] منهم أسرة الشيخ "مصطفى بن إبراهيم المهاجي ت1867م" مفتي وقاضي وشاعر فبيلة بنو عامر بسيدي بلعباس، الذي هاجر مع أسرته و مكث بالمغرب الأقصى، له قصائد يتغنى فيها بوطنه و أهله و حنينه إلى الأرض . ومن أشعاره في وصف المنطقة و طبيعتها:

عَيْطَ نْجُوعْ لجبل تيرني *****ذا الناس فعلهم مشكور
مَن "تاقمة" على "الميموني" *** الحوز فيه ريت دشور
"العبدليّ مع " الوعزاني" **** "الخالفي" ملك زيدور
"أمحازج" العرب فرساني *** و "الزايري" أحرار طيور

ينظر: مصطفى بن إبراهيم شاعر بني عامر- عبد القادر عزة، موفم للنشر – الجزائر ، 2011م، ص 234.

[54] جريدة المبشّر عدد2. تاريخ: 30 سبتمبر 1847الموافق ل 30 شوال 1263ه، المطبعة السلطانية – الجزائر ، ص09. هناك تجمّع شمال الناظور بالمغرب ينتسب إلى عرش "بني وعزان" حسب اللمتداول لدى أفراده لكن لا نملك معلومات عن هجرته و استقراره .

[55]تاريخ ابن خلدون، 174/1.

[56] يوجد اليوم مصنع لصناعة الافرشة والأغطية وسط قرية عميّر ، وكان بها أيضا صنّاع السّروج و لباس الخيّالة إلى عهد قريب .

[57] تاريخ ابن خلدون , 151/1 .

[58]الجزائر في التاريخ(العهد العثماني)-ناصر الدين سعيدوني، المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر، 1984م، ص111-112.

[59] تاريخ الجزائر الثقافي- أبو القاسم سعد الله، 211/1- 212. ينظر البستان، ص 290.

هذا الدوّار هو "قرية عين تاسالت" أو "تاسليت" أحد مواطن البربر تقع شرق تلمسان، كانت منزلا للمرابطين على ثغور وهران إبّان الاحتلال الإسباني -الأول والثاني -القادمين من عاصمة الإيالة الغربية "معسكر" ،وكانت ملاذا للعلماء الفارّين من بطش الأتراك منتصف القرن العاشر هجري منهم "علي الجادري" و"بوزوبع" و"محمد بن عبد الرحمن السويدي" وابنه "الأدغم"، شهدت تاسالت معركة كبيرة بين جيش

الفاتحين بقيادة أبي المهاجر وجيش البربر بقيادة كسيلة باعتبارها بوابةَ تلمسان من الجهة الشرقية اتّخذتها الجيوش الإسلامية معسكرا لحاميتهم ، يوجّهون منها المدد إلى مشرق دولهم[ابن خلدون 147/1]. بها مسجد أو خلوة مندثر ، ومقبرة رومانيّة، ومسجد حوّل عن كنيسة أو معبد وثنيّ بمحاذاة العين، و زاوية بناهما –على الرّاجح- الفقيه محمد عبد الجبار المسعودي الفجيجي ت950هـ الذي يرجع أصله لقرى تلمسان، أما المسجد العتيق بقي إلى اليوم و رُمّم من قبل الإدارة الفرنسية ،كانت الإيّالة تنتدب علماءه، أمّا الزاوية فكانت منزلاللطّلبة والمشايخ للتدريس في العهد العثماني ثمّ أتباع الطّريقة الدّرقاوية المعادية للعثمانيّين،إلى أن دمّرت من قِبل الاحتلال الفرنسي وكان آخر رواد المسجد "الشيخ قويدر هواري الوعزاني" الذي اقتيد من المسجد و هو في حلقة الدّرس حسب شهادة تلاميذه.

[60] وعلى يد قايد آغا أيضا "أولاد ميمون" و "وأولاد بالغ" و "بني مطهر" و "الجعافرة الغرابة " و "الحشم" إلى أحواز وهران. ينظر: طلوع سعد السعود – الآغا بن عودة المزاري، تحقيق: يحيى بوعزيز، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ج1/ص272 .

[61]ينظر: تاريخ إفريقيا العام- جمال مختار، ج2/443-444 .

[62] بني وعزان تابعة للمدينة على غرار "بني صميّل" و "أولاد ميمون" و "سيدي العبدلي" و"بني ورنيد" أما القضاة والمفتين فهم يجمعون أكثر من عرش، وبني وعزان بها أربعة عشر عرش صغير كانت تابعة لقضاء دائرة الغُسل المختلطة –عاصمته الرمشي-

[63] ينظر: جريدة المبشّر ، صدرت سنة 1847م من قبل الإدارة الفرنسية ،عدد 179، 28 جمادى الأولى 1371هـ/15 فيفري 1855م، المطبعة السلطانية – الجزائر .

[64] هناك الكثير من الأسر الوعزانية التي استقرّت بالحاضرة منذ عقود وكان لها اسهامات ثقافية وعلمية واقتصادية كبيرة خاصّة في الاحباس والوقف لصالح المساجد ودور القرآن ، وكان منهم علماء رياضيون وفنّانون على غرار الشيخ الطّيب براهمي إمام مسجد دار الحديث. و الفنان الحرفي "العربي حمزي الوعزاني" الذي ساهم في بناء و تزيين مسجد " أبي ذرّ الغفاري" بحيّ بودغن الشعبي.

ينحدر الشيخ العربي من قرية "شلدة" الذي كان من المؤسسين لفرقة الطرب الأندلسي "غرناطة" ثم أسس فرقة خاصّة أسماها " الفرح" كان يسجّل أغانيه بإذاعة تلمسان، لكنّه مات مبكّرا عن 42 سنة لمرض أصابه كما يحكي ابنه . وقد نشرت جريدة libertie مسيرته بتاريخ 12 أكتوبر 2016.

[65] الجزائر في العهد العثماني- ناصر الدين سعيدوني و الشيخ المهدي بوعبدلي، المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر، 1984م، ص230.

[66]البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان-ابن أبي مريم التلمساني، تحقيق: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية- الجزائر،1326هـ/1904م، ص 104. وقد خلفه أبناء وحفدته وهم: محمد المرابط" توفي عام 1008هـ. سيد أحمد يعرف ب"حمّو" ابن جلال ت1015هـ. أبو العبّاس الأوّل أحمد بن محمد ابن علي ابن جلال ت1040هـ. أحمد بن محمد ابن محمد ابن عبد الرحمن ت 1079هـ، عبد السلام و محمد الخيّاط توفّيا سنة 1089هـ.

ينظر: نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني(ضمن أعلام المغرب) – محمد بن الطيب القادري، تحقيق: محمد حجي ط1، دار الغرب الإسلامي – بيروت، 1417هـ/1996م، ج4: ص1103، 1159-1161، 1239، 1556، 1618.

[67]البستان،ص 160 .

[68] نسبة ابن أبي مريم إلى جلال الوعزاني دون ذكر معلومة عنه، لكن حسب القياس لاشّك أنّه متأثّر بالبيئة العلمية ، ولما لا يكون بقي في البادية وأرسل ابناءه إلى الحاضرة لاجل التعلّم، لأنّ في نسبة صاحب البستان جزْم بأنّه من الحوز فمنهجه في نسبة العلماء دقيق فهو يفرّق بين الأصل والمولد والدّار كـ"الورنيدي التلمساني" و"المديوني نسبا الورنيدي مولدا و دارا" ، وينحدر جلال الوعزاني من قبيلة مغراوة الكبيرة كما ذكر المرابط ابن عبد الرحمن الوعزاني، على ماذكره صاحب نشر المثاني عنه. ينظر : نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثّاني- محمّد بن الطّيب القادري، تحقيق: محمد حجي، ج3/ص1104.

[69]نسبه إلى قبيلة بنو راشد الكبيرة التي كانت إلى حدود تلمسان ، التي أغارت مرارا على قبيلة بني ورنيد و قبيلة مديونة وألجؤوهم إلى الجبال .ينظر تاريخ ابن خلدون: 195/7.وهناك الكثير من الراشديّين منهم: ابن تخنراست الراشدي وابن ستّي الرّاشدي و قدّور الراشدي وغيرهم.

[70] من سويد إحدى فروع بني عامر ينتشرون بغرب الجزائر إلى تلمسان بشرقها و جنوبها كانت تنزل بضفاف الأودية و تنتجع مع البوادي المستقرّة هناك وكانت الأحواز الشرقية لتلمسان أكثر منازلهم ، وقد ترجم ابن مريم للكثير من علماء هذه القبيلة منهم: "محمد بن عبد الرحمن السويدي الكفيف "و ابنه محمد .ينظر البستان : ص288-289 .

[71] مخطوط كعبة الطائفين لوحة 131.

[72]Louest l algerien – par la compagnie de l ouestAlgerien ; Paris challamel et editeurs ; 5rue JACOB. 51891 . P 74 ; et p98.

[73] ينظر : البستان – ابن أبي مريم، ص160 .

[74]سوسيولوجيا الثقافة. عبد الغني عماد، مركز دراسات الوحدة العربية، - بيروت، ط 3, 2016، ص 128 .

[75] أصل تلك التجمّعات الصغيرة المنضوية تحت عرش بني وعزان عبارة عن ضيعات لمجموعة من الأسر أصبحت في القرون المتأخّرة قرى ومداشر معمورة.

[76]تبعد عن مدينة تلمسان حوالي 20 كم .

[77] اسمها التاريخي "بنو إسماعيل" و عيون يسّر لأن واد يسّر يبتدئ من سفوح جبالها ، و بنو إسماعيل نسبة لفرع من القبائل المضرية الأندلسية التي فرّت من الأندلس و نزلت بالمنطقة للاستقرار فسميت بهم ، وكانت هي الأخرى منزلا للعلماء والصالحين إلى زمن قريب .

[78]عرف سكّان حوز بني وعزان بحبّهم الشديد للقرآن الكريم وحملته حتّى إنّهم من المنفقين عليهم، وبمسجد سيدي اليدّون بحيّ المدرس بتلمسان توجد قائمة لأصحاب الوقف ذكر ضمنها أحباس من قرية بني وعزان تتضمّن مزارع وضيعات بالمنطقة لصالح المسجد. ينظر: الآثار الإسلامية الدّينية بمدينة تلمسان- دحماني صبرينة، كنوز الحكمة للنشر- الجزائر، 2020م، ص 48 .

[79]كعبة الطائفين و بهجة العارفين في الكلام على قصيدة حزب العارفين-الجزولي محمد بن سليمان الصائم، مخطوط كتب في القرن 13 هـ،مكتبة جامعة الملك سعود- قسم المخطوطات تحت رقم0-01،، لوحة 134.حقّق جزء منه د. قويدر قيداري، إشراف د. شايف عكاشة، قسم التاريخ وعلم الآثار- جامعة تلمسان ، 2012م/2013م.

[80]كعبة الطائفين مخطوط، لوحة128.

[81] مجموع النسب ، ص289 .

[82]ينظر:بغية الرواد، 159. عرش "بني وعزان" بشلف ليس امتدادا لعرش "بني وعزان" تلمسان لأنّ الاولّ نسبه إلى "وزان" بن ورتاجن بن ماخوخ من ولد ورتاجن بن مرين من الطبقة الثانية من زناتة . ينظر: تاريخ ابن خلدون، 79/7.

[83] عرف عند أهل المغرب لبس الحجاب وهو ورقة بها آي من الذكر الحكيم، وقد تكلّم الفقهاء عنها لكثرة استعمالها بين المسلمين إلى عهد قريب، وقد أجازه الكثير من العلماء وإنّما منعه من منعه لأنه عرضة للنجاسة . ينظر: التمهيد لما في الموطأ من الأسانيد – الحافظ 463هـ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت ، 2010م، ج7/ص9

[84] يردّدون مانصّه : "غنجة حلّت راسها** ربّ بلّغ راسها **يا أصحاب الزاوية **صبحوها راوية**

[85] ينظر: البستان ، ص272 . ذكر فيه إحياء هذا الطّقس من قِبل أهل "الصّصيف" وأهل "الحنايا" وأهل" أوزيدان" التي تعدّ امتدادا لعرش بني وعزان .

[86]مقدمة ابن خلدون- عبد الرحمان ابن خلدون، تحقيق ، ص373.

[87]ينظر: العصبية والدولة في فكر ابن خلدون- محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت، ط6، 1994م، ص170.

[88]لم يبقى من الزاوية إلى آثار، تقع بين قرية بوقورة-البرج و بن سكران.

- الفقير بمعنى الفقير إلى الله تعالى، هي مرتبة من مراتب السالكين .